

## الفصل التاسع

### نحاية النفوذ الإسلامي في أوروبا الجنوبية

التغير الذي طرأ على أوروبا منذ مطلع القرن العاشر الميلادي : انتعاش القوى الروحية – الحركات الديرية الجديدة وأهدافها – الجبهة الإسلامية : الانقسام السياسي والديني – العصبية وكثرة الفتن ووضوحها في أسبانيا – ابن الخطيب وابن عذاري يجملان العوامل الكبرى لكثرة الفتن زمن بني أمية بالاندلس – دخول المغامرين المسيحيين في المعسكر الإسلامي وخطره – السيد القمبنتور – كيف زالت سيادة المسلمين عن البلاد التي وطئوها في مياه البحر الأبيض وفي بلاد أوروبا الجنوبية .

obeykandl.com

وعلى هذا النحو امتد النفوذ الإسلامى فى أوربا الجنوبية والوسطى ؛  
وكانت منطقة أعالى الراين ، عند مشارف سويسرا الشمالية أقصى  
ما وصل إليه المسلمون فى قلب أوربا ، غير أن حركة المد هذه أعقبتها  
حركة جزر ولم تكن حركة المد والجزر متكافئة فى جميع الجهات ، فلم  
تم فى وقت واحد ، بل على فترات مختلفة وأزمنة متفاوتة ؛ وربما عاد  
النفوذ الإسلامى إلى حيث كان ، ولكن إلى أمد غير طويل .

فلقد تغيرت أحوال العالم الأوروبى منذ مطلع القرن العاشر الميلادى  
وخلال القرن الحادى عشر وما يليه ؛ ومنشأ هذا التغير هو ذلك الحماس  
الدينى الذى ميز القرن الحادى عشر فى التاريخ الأوروبى العام ، بصفة خاصة  
ويرجع الفضل فى هذا الحماس ، إلى تلك الحركات الديرية الجديدة المتطورة ،  
وهدفها تقوية الجانب الروحى من الحياة الإنسانية ، وعلاج الضعف الذى  
ألم بالمجتمع الإقطاعى الأوروبى آنذاك ، تدعيم المعسكر المسيحى ضد أعدائه .

وأهم هذه الحركات : الحركة الكلونية ، نسبة إلى دير قام فى مدينة  
كلونى Cluny فى برجنديا بفرنسا ؛ بل لقد عمد بعض الكتاب إلى اعتبار  
عام ٩١١ م ، وهو العام الذى أسس فيه هذا الدير (١) ، بداية التحول العام فى

---

(١) أسس دير كلونى ، وإيام التقي دوق أكويتانيا عام ٩١٠ أو ٩١١ م .

أوروبا . وتبع الحركة الكلوونية حركات ديرية لتحقيق نفس الأهداف ، مثل الحركة الكارثوية Carthusian نسبة إلى مدينة كارثوزيا Cartusia قرب جرنوبل بفرنسا ، وهي المعروفة حاليا باسم شارتر و Chartraux (١) ، والحركة السسترشيانية Cistersian ، نسبة إلى مدينة ستيو Citeux في فرنسا كذلك (٢) ، والحركة البريمونسترانية Premonstaterian ، نسبة إلى مدينة بريمونترية Prémontrie بأبرشية لاؤن Laon بفرنسا (٣) .

وليس من باب الصدفة ، أن خواتيم القرن الحادى عشر الميلادى ، هي بداية الحروب الصليبية المعروفة فى التاريخ ، وإن كانت فكرة الحروب الدينية ليست جديدة على ذلك القرن ، فالعامل الدينى كان بارزا فى جميع الحروب التى خاضها المسلمون ضد العالم المسيحى فى تلك القرون كما أنه ليس من باب الصدفة ، أن يوصف القرن الثانى عشر ، فى التاريخ الأوروبى بأنه قرن اليقظة والبعث العلمى فى العصور الوسطى ، وكان الأثر الإسلامى أهم عوامله وعناصره .

وبالإضافة إلى عامل الحماس الدينى الذى شمل أوروبا ، هناك الملكيات الجديدة النامية ، وهى التى قامت على أنقاض الإمبراطورية الكارولنجية وأخذت تقوى على حساب النظم الإقطاعية القائمة . ففى ألمانيا قامت أسرة

---

(١) مؤسس الحركة الكارثوية هو برونوالكولونى Bruxno of Colegne عام ١٠٨٤ م ، وكان كاهنا لمدينة ريمس Rheims

(٢) مؤسس الحركة السسترشيانية روبرت رئيس دير موليم Molesme عام ١٠٩٨ م

(٣) القديس نوربير Norbert هو الذى أسس الحركة البريمونسترانية عام ١١٢٠ م

(راجع : ( 872 - 878 Brooke . pp. 113 - 120 Chew & Latham .

السكسون Saxons ، ومن بعدها أسرة السالين Salians خلال الفترة من ٩٣٦ إلى ١٢٢٥ م ؛ ثم أعقبتها أسرتا ألوف Welfs وهو هشتوفى Hohenstaufen (١١٢٥ - ١٢١٨ م) (١) وفي فرنسا قامت أسرة هيوكايه منذ عام ٩٨٧ م (٢) ؛ وظهر في جنوب إيطاليا النورمان Normans بجيوشهم الجرارة الفتية ، وحماسهم لعقيدتهم المسيحية الجديدة ، وهؤلاء هم المجرس ، كما ساءم المسلمون منذ القرن التاسع الميلادي (٣) ، لكنهم تحولوا من النهب والغزو ، إلى الاستقرار وتأسيس ملك ، ونجحوا في ذلك خلال القرن الحادي عشر (٤) .

كذلك جاءت شدة وطأة الضغط المسيحي على مسلمي أسبانيا ، من من العوامل الكبرى التي ساهمت في إزالة النفوذ العربي الإسلامي من أوروبا ، وكانت هذه الشدة دليلا على التغير العام الذي شمل أوروبا كما كانت من آثاره . واقتربت حركة الاسترداد المسيحي بالعامل الديني (٥) ؛ كما ساهمت عوامل أخرى جغرافية وقومية .

\* \* \*

---

(١) راجع Bryce, op. cit., PP. 19 sqq., 119 - 131 chow & Latham, PP., 146 sqq., 156 sqq., C. Med. H. Vol. III, PP. 179 - 203

(٢) راجع ما سبق

(٣) انظر : ابن عذارى : البيان - ٢ ص ١٣٠ - ١٣٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٠

(٤) انظر : Brooke, op. cit., PP., 222 - 4; Scott, op. cit., Vol. II, PP. 52 - 66; C. Med. H., Vol. V. pp. 169 - 77; Hestorians History, vol IX. PP. 68 - 71

(٥) انظر : ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس - ترجمة سالم - ص ١٧٠ - ١٧٢

أما الجبهة الإسلامية المقابلة للعالم الأوربي المعاصر وقتذاك ، فقد وضحت فيها عناصر الضعف والتفكك ؛ وأول هذه العناصر : وجود ثلاث خلافات إسلامية ، تقسم العالم الإسلامي ، ويعادى بعضها بعضاً ، وهي : الخلافة العباسية في بغداد وخلافة بني أمية بالأندلس وخلافة الفاطميين في المغرب ثم في مصر وما حولها . فضلاً عن هذا الانقسام السياسي . هناك انقسام ديني بين السنة والشيعة ، مما أدى إلى تزيق وحدة العالم الإسلامي ، وإضعاف جبهته أمام العالم الأوربي المسيحي الذي أخذ يوحده هدفه ويجمع صفوفه ، ولم يكتف بإزالة النفوذ الإسلامي من أوروبا ، بل أوغل في قلب العالم الإسلامي ، بالشرق الأوسط ، فعانت الدويلات الصليبية التي أقامها بالشام منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي .

هذا من ناحية الشكل العام لإطار العالم الإسلامي ؛ أما الناحية الداخلية فلم تكن خيراً من صفة هذا الشكل ، وهذه هي العنصر الثاني من عناصر الضعف والتفكك والفرقة ، وأبرز جوانبها انتقال العصبية مع الفاتحين المسلمين إلى أوروبا ، وأخطرها ما وقع بين عرب الحجاز وعرب الشام ، ثم الصراع الرهيب بين العرب والبربر . وضع هذا في أسبانيا الإسلامية ، وهي المركز الرسمي الذي غنذ الفتوح في فرنسا وما والاها . حتى أن الإمبراطور أوتو لم يجد أمامه غير عبد الرحمن الناصر الأموي في قرطبة ( ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ) ليعتد إليه برسالة في عام ٩٥٦ م ، طالباً منه أن يكف المسلمون عن غاراتهم بجنوبي فرنسا (١) ، ولاشك أن ضعف

السلطة المركزية الرسمية يضعف من قبضة ممثليها على فتوحهم بالأطراف والجهات النائية .

وقد لاحظ شارل مارتل حقيقة العصبية وخطرها ، في مطلع الفتوح الإسلامية في فرنسا ، فكان مما قاله لقومه ، حين أبدوا له دهشتهم من سرعة الفتوح الإسلامية وانتصارات المسلمين المتلاحقة ، وتقاعد المعسكر المسيحي :

« الرأي عندي ألا تعترضوهم في خراجتهم هذه ، ولكن أمهلوهم حتى تمتلي أيديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في الرياسة ، ويستعين بعضهم ببعض ، حينئذ يتمكنون منهم بأيسر أمر . » ؛ وعلق المقري : « فكان والله كذلك ، بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب ، والمضرية واليمينية ، وصار بعض المسلمين ، يستعين على بعض بمن يجاورهم من الأعداء » (١) .

والواقع أن العرب استحوذوا لأنفسهم على الجانب الأكبر من الأراضي والغنائم ، مما أثار حفيظة البربر ، واعتقد العرب أنهم أصحاب البلاد وأصحاب السيادة الفعلية بالأندلس ، ونظرا لأنهم كانوا أقلية بالنسبة للبربر ، فقد اتخذوا موقف الحيطة والحذر دائماً من البربر (٢) ، واشتدت الكراهية بين الفريقين ، وبلغت حداً صارت عنده مثار التهمك والسخرية ، مع شيء من

---

(١) نفع الطيب ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ انظر كذلك Lori - Provincial, op. Cit., pp. 18 - 22 ; راجع ماسبق

(٢) العبادي ص ١١١ - ١١٢ ، ١٢٠ - ١٢١ ؛ ابن حوقل ص ٩٧ - ١٠٣

الطرافه ؛ فما يستملح من النوادر المقولة في نسب البربر ، قول خلف بن فرج ، من شعراء الأندلس ، يهجو البربر :

رأيت آدم في نومي فقلت له .: أبا البرية إن الناس قد حكموا  
أن البرابر نسل منك ، قال إذن .: جواء طالق إن كان الذي زعموا (١)

وذلك طفحت أسبانيا الإسلامية بالفتن والثورات التي كثرت منذ  
مطلع القرن العاشر الميلادي ؛ وأجمل ابن الخطيب العوامل المختلفة التي  
أدت إلى كثرة الثورات والفتن زمن بني أمية في الأندلس ، في ثلاثة :

• أولها : منعة البلاد وحصانة المعاقل وبأس أهلها بمقاربتهم عدو  
الدين ، فهم شوكة وحد بخلاف سواهم .

• الثاني : علو الحمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة ، إذ  
كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرفا بأنف بعضهم من  
الأذعان لبعض .

• الثالث . الاستناد ، عند الضيقة والاضطرار ، إلى الجبل الأشم  
والمعقل الأعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم  
ببعض (٢) .

واشتهر عهد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ( ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨

(١) الاستقصا ص ٦٥

(٢) أعمال الأعلام ص ٣٥ - ٣٦

٩١٢ م ) ، بكثرة الثورات ، وقد عد ابن عذارى منها نحو ٢٦ ثورة ، وقعت كلها في عهد هذا الأمير ، وحاول كل نائر أن يستقل بمدينة أو منطقة ، مثل ثورة ديسم بن إسحاق ، الذي تغلب على مدينتي لورقة ومرسية ، وثورة عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي ، فقد استولى على بطليوس وماردة ، يقول صاحب البيان « وجاور أهل الشرك والاهم على أهل القبلة (١) » ؛ وهناك ثورات البربر الذين أنشأوا لهم مستعمرات بربرية في المناطق الجبلية (٢) .

وقد صور ابن الخطيب عن الأمير عبد الله ، بقوله : « وتصيرت إليه الخلافة ، وقد تحيف النكث أطرافها ، واقتسمها الثوار ، وكلب عليها الأشرار ، ولم يبق منها إلا الاسم ، فوق ظهر منبر قرطبة ، والقليل من غيرها ، وسامت الظنون ، ولم يدر عبد الله إلى أين يصرف وجهه : إلى ابن حفصون كبير الثوار المجاور لقرطبة ، وقد استولى على معظم البلاد مثل البيرة وريه وما إلى ذلك ، أم لابن حجاج ، وقد استقل بأشبيلية وقرمونة وما إلى ذلك ، أم لعبد الرحمن بن مروان الجليقي بطليوس أم لعبد الملك بن أبي الجواد بياجة الغرب ، أم لابن السليم بشذونة ، أم لابن إلياس بالقلعة المنسوبة إليه إلخ ... » (٣)

وكذلك صور ابن عذارى هذا العهد بقوله : « وأفضت إليه الخلافة ،

(١) ابن عذارى ج ٢ ص ٢٠٥

(٢) Lévi — Provincial, PP. 10 — 11 . 24 — 26 مفاخر البربر ص ٧٨

(٣) أعمال الأعلام ص ٢٧ — ٢٨

وقد تحيفها النكث ومزقها الشقاق وحل عراها النفاق والفتنة مسئولية ،  
والدجنة متكاثفة ، والقلوب مختلفة ، وعصا الجماعة متصدعة ، والباطل  
قد أعلن ، والشر قد أشهر ، وقد تمألا على أهل الإيمان حزب الشيطان ،  
وتألب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهمهم من أهل الفتنة الذين  
جردوا سيوفهم على أهل الإسلام ، فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب  
ومحصور يعيش مجهورا ويموت هزلا ... وانقطع الجهاد إلى دار الحرب ،  
وصارت بلاد الإسلام بالاندلس هي الثغر المخوف ، فكان قتال المنافقين  
وأشباههم أوكد بالسنة وألزم بالضرورة، (١) .

أدت هذه الأحداث إلى انتهاز الأفرنج والأسبان الفرصة للتنكيل  
بالمسلمين والعمل على طردهم (٢) .

وبلغ الانقسام والضعف والتمزق أقصاه ، زمن ملوك الطوائف ،  
وهو الزمن الذي استمر نحو قرنين وسبع سنوات ؛ فكون الزعماء العرب  
إحدى عشرة دويلة منها ؛ بنو عباد بأشبيلية وبنو حبور بقرطبة وبنو هود  
في سرقسطة ، وبنو حمادح من تجيب في المرية إلخ ... ، وكون البربر عشر  
دويلات منها ؛ بنو حمود في مالقة والجزيرة وبنو زيري في غرناطة  
وبنو الألفس في بطليوس وبنو ذى النون في طليطة وهكذا . . . كذلك  
كان للصقالبة خمس دويلات في هذا العهد الفوضوى ، منها مجاهد العامرى

(١) البيان ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤

(٢) ابن عذارى ج ٢ ص ٢٢١ ، ٣٧٧ - ٤٤٥ ، نفح الطيب ج ١ ص ١٨٥ -

١٨٩ ؛ غزوات العرب ص ٨٣

وابنه في دانيه ، وزهير في المرية ومرسية ، وديبارك ومظفر في بلنسية ،  
ونيل في طرطوشة وهكذا (١)

ويضاف إلى هذه العوامل الكبرى في ضعف الجانب الإسلامي  
في أوروبا ، استعانة المسلمين بالمغامرين من أعداء الدين في حروبهم  
وجهادهم ، وهؤلاء مهما أدوا من خدمات للمعسكر الإسلامي ، فإن ولائهم  
غير باق ، بل هو مرتبط بقدر ما يتقاضونه من أجور ، وكيف يطمئن قوم  
لولاء من خرج على قومه ودينه وتنكر لوطنه وقبيلته ! إن الخروج  
على الحلفاء الجدد أسهل عليهم من الخروج على مواطنيهم ، ومن فرط  
في قومه أولى بالتفريط في أعداء قومه . ولعل أبرز مثال يصور هذه الحالة  
هو استخدام المسلمين في الأندلس لمغامر أسباني مسيحي لا مبدأ له  
ولا عهد ، هو رودريجو دياز Rodrigo Diaz الذي اشتهر باسم « السيد  
القمبيطور ، Cid Campeador ، ومعنى هذا اللقب « قائد الغارات  
في السهول » ، ويعبر العرب في العصور الوسطى عن صاحب هذا اللقب  
باسم « صاحب الفحص » ، وهو يقابل اللفظ اللاتيني Compidictus ،  
واعله أطلق منذ ذلك الحين على الخبير بالغزوات في أرض الأعداء ؛ وورد  
في المراجع العربية باسم الكنبطور أو الكبيطور (٢) .

(١) لمهد الطوائف في أسبانيا الإسلامية انظر : صبح الأعشى > ٥ ص ٢٤٨ —  
٢٦٠ ؛ أعمال الأعمال ص ١٤٤ وما يليها ؛ ( الإحاطة في أخبار غرناطة > ١ و > ٢ ) ؛  
فتح الطيب > ١ ص ٢٠٤ ، العبادي ص ١٥٥ — ١٧١ ، ( محمد عبد الله عنان : نهاية  
الأندلس ) كليبا ص ٥١ — ٥٥ ، زامباور > ٢ ص ٨٦ — ٩٥ ، إيني بروفنسال :  
الإسلام في المغرب والأندلس ( ترجمة سالم وزميله ) ص ١١٩ وما بعدها ، وكذلك لنفس  
المؤلف : Histoire de l'Espagne : L'Espagne Musulmane. PP. 24 — 26 ; ( Histoire de l'Espagne :  
Musulmane. T. III ) ; Dozy. T. II. PP. 175 — 189.

(٢) ابن عذاري > ٢ ص ٢١٥ ؛ ابن الخطيب ص ٢٠٣ — ٢٠٥

اختلطت سيرة هذا المغامر بالأساطير ، ولد حوالى عام ١٠٤٥ م في مدينة برغش Burgos في جليقية (غاليا) ، وتوفي والده حوالى عام ١٠٥٨ م ودخل رودريجو في خدمة ملك قشتالة سانشو بن فرديناند الأول ، وصار حامل لوائه وقائد جيوشه ، وواته الفرصة لإظهار مواهبه ، إذ صار فارسا من أبناء نافارة فصرعه ، ولعل ذلك هو الذى خوله لقب القمبيطور ؛ وسفر فى عام ١٠٧٩ م بين ملك قشتالة وبين المعتمد بن عباد ملك أشبيلية الذى كان يدفع جزية لألفونسو السادس ملك قشتالة ، وعاد بالجزية من صاحب أشبيلية عام ١٠٨٠ م ؛ وخلال هذه السفارة ، اشترك فى معركة فى جانب مملكة أشبيلية ، لأنها مشمولة بحماية مملكة قشتالة ، وذلك ضد جيش غرناطة ، وكان من بين جنود غرناطة قشتاليون ، فانتصر رودريجو وأسر كثيرا من نبلاء النصارى الذين يحاربون فى صفوف مملكة غرناطة . غير أن ألفونسو السادس نفي رودريجو فى عام ١٠٨١ م ، لأنه كان يقوم بأعمال ومغامرات دون إذنه .

وكان نفيه نقطة تحول فى حياة البطل القشتالى ، وهذا هو الدور الذى امتلأ بالأساطير ، فخرج على رأس ثلاثمائة فارس من المغامرين أمثاله ، وتوجه يعرض خدماته على من يضمه إليه ، أيا كانت جلسيته أو عقيدته ، فذهب إلى برشلونة وعرض خدماته على أميرها وهو كونت رامون بيرنجر ، فلم يرحب به ، ثم توجه إلى أحمد المقتدر من بنى هود ملوك سرقسطة المسلمين ، فرحب به ، ومن ثم بدأ رودريجو يحارب فى صفوفه ضد الأراغونيين والفضلايين ، وانتصر لحساب الملك المسلم ، فأعقد عليه ملك سرقسطة، الهدايا والعطايا ، وكان ملك سرقسطة فى ذلك الوقت المؤمن ابن أحمد المقتدر ، وربما كان المؤمن هذا هو الذى أطلق عليه لقب

« سيدى » ، وهو صورة أندلسية للفظ « سيد » ، وانتقل هذا اللفظ إلى الأسبانية فصار Mio Cid ، واشتهر به رودريجو حتى صار علما عليه .

حاول ألفونسو السادس ملك قشتالة أن يسترده ، وظل السيد يحارب في صفوف المسلمين ، وظل في سرقسطة حوالى عام ١٠٨٦ م . وكان ألفونسو السادس ملك قشتالة قد اشتهر بحروبه ضد المسلمين ، ولا سيما بعد انتزاع طليطلة عام ١٠٨٥ م من أمرائها المسلمين ، وهم ذو النون البربر من ملوك الطوائف ؛ وفي تلك الأثناء كان السيد يعمل مع ملك سرقسطة أحمد المستعين بن المؤتمن ، وحاول ضم بلنسية إلى صاحب سرقسطة الذى يخدم هذه ونجح فى انتزاعها ، وكانت بلنسية فى ذلك الوقت مشمولة بحماية ملك قشتالة ، وملكها القادر ؛ غير أن السيد أخذ يفكر فى الأمر ، وحدثته نفسه بترك الجانب الإسلامى والعودة إلى ملك قشتالة ، الذى لقي هزيمة منكرة على يد المرابطين فى ١٣ أكتوبر ١٠٨٦ م فى وقعة الزلاقة المشهورة وتم الصلح بين ألفونسو السادس والسيد فى ربيع ١٠٨٧ م ، ولكن السيد كان يضع مصالحه الشخصية فوق كل اعتبار ، فأخذ يعمل لحسابه ، فكثرت مغامراته فى المنطقة الشرقية ، من الأندلس من أربولة إلى شاطبة ، وأجبر كونت برشلونة المسيحى على دفع جزية له ، وطلب أمير طرطوشة المسلم حماية السيد ودفع له جزية ، وسرعان ما دفع له الجزية جميع صغار أمراء المسلمين بشرق الأندلس ، ليضمنوا عدم اعتدائه ، وهم أمراء البونى ومريط وشبرب وشارقة والمنارة ، فزادت ثروته واتسع نفوذه .

اشتد النفور بين السيد وبين ألفونسو السادس ، وصمم ملك قشتالة على انتزاع بلنسية من السيد ، واستعان بجنود من جنوة وبيزه ، وحاصر بلنسية براً وبحراً ، وكان السيد فى ذلك الوقت يحارب بجانب ملك سرقسطة

ضد أرغونة ، فأخذ يخرّب في بلاد قشتالة ، وحينئذ اضطر ألفونسو السادس لرفع الحصار عن بلنسية .

وكان السيد هو الذى يحكم بلنسية ، ونائبه فيها ابن الفرج غير أن أهل بلنسية أعدموا نائب السيد لأنه أرهاقهم بالمال ، فاستقل بالمدينة كبار المواطنين بها وعلى رأسهم جعفر بن جحاف قاضى المدينة ، وطلب هذا القاضى من المرابطين حمايته من السيد ، ولكن السيد زحف على بلنسية فى عام ١٠٩٣ م واستولى عليها ، وقامت المدينة الكثير من الجوع والوباء ؛ وعامل السيد أهل المدينة بعد ذلك بالتسامح وخطب فيهم خطبة وضح سياسته وموقفه ، غير أنه لم يفر لهم قتلهم القادر المشمول برعاية ألفونسو السادس ، وعاقب القاضى بالإعدام حرقا ، كما أعدم كثيرا من أهل المدينة .

أضحى السيد سيد بلنسية المطاق ، ووسع رقعة ممتلكاته ، وحول مسجدها الجامع إلى كاتدرائية ؛ ومات فى يولييه ١٠٩٩ م وهو العام الذى سقط فيه القدس وحارب المرابطون زوجته التى استنجدت بابن عمها ألفونسو السادس ، ولكن المرابطون استولوا على بلنسية عام ١١٠٢ م (١)

ومن مقالة ابن الخطيب وابن عذارى ، ومن مغامرات السيد ، تضح حقيقة كبرى ، كانت من أخطر عوامل الهدم والتمزيق للقوة الإسلامية فى أسبانيا ، فضلا عن التمزق والفرقة ، تلك هى خطورة استعانة أمراء

(١) انظر : ليني بروفنسال ( المترجم ) ص ١٧٤ - ٢٣١ ، البيان ص ٢ ص ٢١٥ ، ابن الخطيب ص ٢٠٣ - ٢١٥ ؛ Lace - Poole P. 177 ؛ Brooké. PP. 221 - 2 ؛ كليديا ص ٦٨ ، الروض المعمار ص ٤٧ - ٥٥ ، مؤنس ؛ C. Med. II., IV, P. 400 ؛ المجلة التاريخية مايو ١٩٥ م ص ٣ عدد ١ ( ص ٣٧ - ٨٧ )

المسلمين بمن يجاورهم من الأعداء ، ضد بعضهم البعض ، وخضوع الكثير منهم لحماية ملك قشتالة ودفع جزية له ؛ ومن هؤلاء بنوزيري في غرناطة وبنو عباد في أشبيلية وطليلة وبنو هود في سرقسطة .

وإذا أضفنا إلى ذلك كله ، إلحاح المسلمين في الحصول على الغنائم ، وحرصهم عليها ، مما كان من أسباب هزيمتهم في فجر عهدهم بأوربا — في بلاط الشهداء — ، تكون عوامل الوهن ، قد استشرت فيهم ، وتكون شمس الإمبراطورية التي أقاموها في أوربا ، قد آذنت بالغروب .

\*\*\*

وتتناول في إيجاز ، كيف زالت السيادة الإسلامية عن البلاد التي فتحوها في أوربا الجنوبية وفي مياه البحر الأبيض .

فأما جزيرتا قبرص ورودس ، فإن السيادة عليها تأرجحت بين المسلمين والبيزنطيين والصلبيين ، حتى قضى العثمانيون على الإمبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣ م ، ومن بعدها قضوا على إمبراطورية المماليك ( ١٥١٧ م ) ، وكانت قبرص تابعة للمماليك منذ القرن الخامس عشر ، وانتهت السيادة عليها إلى العثمانيين ، كما آلت رودس إلى العثمانيين عام ١٥٢٢ م . يوم انتزعوها من فرسان الاستنارية الصليبيين (١) .

وأما جزر بحر إيجه الصغيرة . فإن السيادة الإسلامية لم تثبت فيها طويلا . ولا سيما بعد سقوط جزيرة كريت . في أيدي البيزنطيين . ظلت الإمبراطورية البيزنطية تكافح في سبيل استعادة كريت . حتى نجحت في عام ١٤٩٩ هـ / ١٥٦١ م . بقيادة نقفور فوقاس . زمن الإمبراطور رومانوس الثاني . وأسر البيزنطيون آخر أمراء كريت المسلمين . وهو

(١) راجع ما سبق وانظر : زيادة ص ٢٠٠ — ٢٠٣ ، الجراكسة ص ١٠٥ — ١١٤

عبد العزيز بن حبيب بن عمر ؛ ويقال إنه التحق بخدمة الإمبراطور البيزنطي ومن ثم عادت سيطرة بيزنطة على حوض البحر الأبيض الشرقي (١) .  
وهجر المسلمون الجزيرة بعد أن احتفظوا بسيادتهم عليها نحو قرن ونصف وعندما استولت الحملة الصليبية الرابعة على بيزنطة عام ١٢٠٤م ، صارت جزيرة كريت من نصيب بونيفاس مونتفرات ، ولكنه باع الجزيرة للبنادقة في نفس العام ، فظلت كريت تابعة لجمهورية البندقية حتى فتحها العثمانيون عام ١٦٦٩ م (٢) .

وجاءت نهاية السيادة الإسلامية على جزيرة صقلية ، على يد النورمان أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (٣) . والملاحظ أن طبيعة الفتح النورماني لصقلية ، تختلف عن انتصارات المسيحيين على المسلمين في أسبانيا ، فإن حركة الأسبان المسيحيين ، كانت عملية استرداد مسيحي لبلادهم ، أما الفتح النورماني لصقلية ، فهو أمر جديد ، للاستقرار وتكوين دولة جديدة . والنورمان أنفسهم غزاة جدد ، طرأوا على أوروبا منذ القرن التاسع الميلادي (٤) .

---

(١) Vassiliet. P. 314

(٢) نفح الطيب > ١ ص ١٥٩ ، أسد رستم > ٢ ص ٣٤ — ٣٥ ، المعجب ص ١٠ ، أومان ص ١٧٩ — ١٨٠ ، مؤنس ص ١٣٨ ، شارل ديل : البندقية ص ٢١ ، إبراهيم العدوي : اقربطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع ( المجلة التاريخية مايو ١٩٥٠ — ص ٥٣ — ٦٨ ، C. Med. H. Vol. ; Scott, II, p. 76 ; IV, PP. 141 — 42. )

(٣) انظر فنسر ص ١١٣ ومايلها ، Hist'arians History Vol. IX, pp. 63 — 70

Brooke. P 222 (٤)

تزعمت أسرة هو تفيل De Hauteville النورمانية حركات الفتح النورماني ، في جنوبي إيطاليا وصقلية . وشجعها الصراع والتنافس والانقسام بين مسلمي صقلية (١) ، وقد تظاهر النورمان في أول أمرهم بأنهم يعملون على استعادة البلاد البابوية ، لكنهم كانوا في حقيقة أمرهم يؤسسون لأنفسهم . فاشترك روبرت جويسكارد R. Guiscard النورماني مع أخيه الأصغر روجر Roger في عمليات الفتح ، وواعد روبرت أخاه ، بنصيب في فتوحه المقبلة في قلورية ( كالابريا ) وصقلية ؛ ونجح الأخوان عام ١٠١٠م حتى وصلا إلى مدينة ريو Reggio (٢).

والواقع أن النورمان كانوا يتطلعون إلى جزيرة صقلية لخصبها وثروتها وقد أغراهم ضعف المسلمين في صقلية ، إذ إن حكام الجزيرة المسلمين ، كانوا في صراع وتنافس ، بعد أن تخلصوا من نفوذ الدولة الزيرية في شمال أفريقية (٢) ، ومن هؤلاء المتنافسين شخص يعرف باسم محمد بن الثمنة ولقبه القادر بالله ، يقال إنه استعان بالنورمان في صراعه الداخلي كما استعان بالزيريين من قبل مما سهل للنورمان مهمة فتح صقلية ، وليس هذا الأمر غريبا ، فهناك ملوك الطوائف في أسبانيا الإسلامية ، كثيراً ما استعانوا بملوك قشتالة المسيحيين في صراعاتهم ومنافساتهم .

ورغم أن محاولة عبور مضيق مسينا ، مخاطرة كبرى لوجود

(١) Scott. II PP. 52 — 54

(٢) Historians History. C. Med. II., Vol V, PP. 169 — 71 Vol. IX,

PP. 68 — 71

(٣) انظر زمباور > ٢ ص ١٠٩

الأسطول الإسلامي ، إلا أن النورمان نجحوا في عام ١٠٦١ م في الاستيلاء على مسينا ثم تروينا Troina ، وهذا ماثبت أقدامهم للعمليات الحربية المقبلة ، ونظرا لانشغال النورمان في مشروعات مماثلة في إيطاليا الجنوبية ، فإن تقدم النورمان في صقلية كان بطيئاً ؛ واستمر لبضع سنوات . اضطر روبرت جويسكارد لمغادرة صقلية إلى إيطاليا فترة من الزمن ، وترك أخاه الأصغر روجر ، دون قوة كافية أمام قوات المسلمين الضخمة (١) ،

وساعد على بطء التقدم النورماني ، وفاة ابن الثمنة سنة ١٠٦٢ م ، لأن النورمان فقدوا خليفاً مفيداً لهم ، كما وقع نزاع بين جويسكارد وأخيه روجر حول اقتسام الغنائم ، وفي تلك الأثناء ، تحسن موقف المسلمين في صقلية ، ولا سيما أن مساعدات كانت تأتيهم من شمالي أفريقية ، غير أن جويسكارد النورماني استطاع في عام ١٠٧١ م أن يكمل فتوحه في إيطاليا الجنوبية بالاستيلاء على باري ومن ثم تفرغ لصقلية ، واستولى على بالرمو في العام التالي كما سقطت سراقوسة عام ١٠٨٥ م (٢) ، وبذلك تحكّم النورمان في جميع الأجزاء الشمالية لجزيرة صقلية ، ومع ذلك ظل المسلمون يمتلكون الجزء الأكبر من الجزيرة ، وقد تحسن مركز النورمان بسبب تضامنهم ووحدتهم فضلاً عن تعاون الأخوين ، وعدم وجود بارونات إقطاعيين أقوياء يخشى بأسهم كما هو الشأن في إيطاليا الجنوبية ، وكان الأخوان شديدي الحرص في المنح الإقطاعية ، وهو النظام المألوف

---

C. Med. H.. Vol. V, P. 177 ; Brooke, pp. 222 - 227. Waern, op. (١)  
Cit. pp. 29 - 30

Encycl. Britt. Art. Eisily (٢)

وفتتذ فكانت منحها صغيرة تجنباً لأخطار تجيء من جانب الأتباع في المستقبل (١) .

تلا ذلك فترة هدوء لانشغال جويسكارد في إيطاليا الجنوبية ضد ريتشارد حاكم كابوا Capua ، وضد اللومبارد الخاضعين للبابوية . وبسبب حملات جويسكارد كذلك على اليونان ، بجانب تمرد باروناته عليه في الأرض الإيطالية ، وتوفي جويسكارد عام ١٠٨٥ م ، خلفه ابنه روجر بورسا R. Borsa بلقب دوق Duke ( ١٠٨٥ - ١١١١م) ، ويحكم في جنوبي إيطاليا ، غير أن روجر هذا كان ضعيفاً ، فنار ضده البارونات ، وكانت أقوى شخصية يخشى بأسها هي شخصية أخيه بوهيمند Bohemund ، أعظم شخصية نورمانية معاصرة ، ظل بوهيمند شوكة في جنب أخيه ، حتى أتتحت لمطامعه فرصة الحروب الصليبية ، فاشترك في الحملة الصليبية الأولى ، طمعا في تأسيس إمارة له في الشرق ، ونجح في تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨ م (٢) .

وكان يحكم الأملاك النورمانية في صقلية وقتتذ كونت روجر Count Roger وهو الأخ الأصغر لروبرت جويسكارد ، لم يستطع الدوق روجر بورسا أن يتحكم في عمه كونت روجر ، وأن يفرض سيادته عليه وإنما نظر إليه باعتباره حاميا له ، ولذلك منحه حق الامتلاك التام للقلاع القائمة في قلورية ، وهذه كان يقسمها مع أخيه جويسكارد من قبل ؛ ويمتاز

(١) Scott, II, pp. 55 - 56 ; Brooke, pp. 223 - 224

Brooke, P. 224 (٢)

كونت روجر بالعقريّة الحرّية ، وبعد النظر ، ولذلك أكثر من بناء الحصون والمعازل حتى يتمكن من الصمود أمام المسلمين بصقلية ، وأخذ يعمل على تقوية معسكره ، بتشجيع الهجرة من جنوبي إيطاليا ومن الولايات اللومباردية ، بل إنه أحسن سياسة الرعايا المسلمين الذين كانوا يخضعون له في الأملاك النورمانية بشمال صقلية ، وجند من المسلمين بعد أن منحهم حرية العقيدة ، وعنى بالقوة البحرية ومع ذلك فلم تصل إلى الدرجة التي كانت عليها البحرية الإسلامية وقتئذ .

ويحتمل أن كونت روجر كان قد نجح من قبل في عقد معاهدة مع الدولة الزيرية ليحول دون مساعدتها لمسلمي صقلية ، وبهذه الخطوة الدبلوماسية ، استطاع أن يوسع الأملاك النورمانية في صقلية ، في حياة أخيه الأكبر ، فهو الذي استولى في عام ١٠٧٧ م على تراباني Trapani وتاورمينا Taormina في عام ١٠٧٩ م كما نجح في عام ١٠٨٤ م ، وذلك قبيل وفاة أخيه بسنة ، في القضاء على مقاومة المسلمين ، مع استمراره على حسن معاملة المسلمين الخاضعين له . والهدف الأكبر للكونت روجر هو الاستيلاء على سرقوسة التي نجح في الاستيلاء عليها عام ١٠٨٥ م ، ورغم بقاء بعض القلاع المفرقة في أيدي المسلمين ، إلا أن نهايتهم قربت ؛ واستولى في عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م على مدينة نوتو Noto وأكمل فتح صقلية نهائياً (١) .

• • •

أضحى كونت روجر، وتكتبه بعض المصادر العربية الجلط كندر جار، سيد صقلية وأقوى حاكم في تلك المنطقة، وشغل المكانة التي شغلها أخوه جويسكارد من قبل، وتطلعت إليه البابوية لمحالفته وحماية إيطاليا، نظراً لضعف روجر بورسا، وكان نفوذ كنت روجر أقوى وأوسع من مجرد ملك إقطاعي (١). ولعل أبرز جوانب سياسته، تسامحه مع المسلمين الذين صاروا رعية له في صقلية، حتى دفعوا له الضرائب، وعاونوه في حكومته، ولاسيما أن روجر أبقى على النظم الإسلامية القائمة والتقسيم الإداري الإسلامي، وعلى الألقاب الإسلامية لبعض المناصب العليا (٢)؛ وبلغ من تعاون المسلمين معه، أنه في الحصار الذي ضربه النورمان على مدينة أمالني في إيطاليا الجنوبية عام ١٠٩٦ م، كان من بين قواته، عشرون ألف مسلم؛ واتخذ روجر وخلفاؤه من بعده وزراء من المسلمين، وأبقوا على اللغة العربية كلغة تخاطب بين جميع الطبقات، وأصدروا بها القرارات والقوانين، كذلك ضرب النورمان نقودهم على النظام الإسلامي، فكانت تطبع عليها آيات من القرآن الكريم فضلاً عن كتابة التاريخ الهجري، كذلك سادت العادات الشرقية الإسلامية في المواكب الملكية، فتحمل المظلة على رأس الملك النورماني، وقام الملك النورماني كذلك بتقليد خلع الخلع، وتنظيم قصره على النسق الإسلامي كما أن التعليم ظل قائماً على يد الأساذة العرب وبجانبيهم أساذة يهود، ولم

Brooke, p. 225 (١)

Waern, pp. 31 — 32, Encycl. Brit. (٢)

يتناول روجر أن يجبر مسلما على اعتناق المسيحية (١)

ومن ناحية أخرى ، شجع روجر النورمانى المهاجرين المسيحيين على  
النقطة إلى بلاده ، واعترف بنفوذ البابا الرومى ، وأحل الطقوس اللاتينية  
فى الجزيرة محل الطقوس الإغريقية (٢) .

مات روجر عام ١١٠١ م ، وترك فى صقلية حكومة قوية مدعمة ،  
تولاها من بعده ابنه سيمون Simon لمدة عشر سنوات ثم الابن الثانى  
المشهور وهو روجر الثانى الذى بدأ حكمه عام ١١١٢ م ويشبه الكتاب ،  
كونت روجر ، وهو روجر الأول ، بوايام الفاتح النورمانى فى السياسة  
والدهاء والعسكرية الحربية والإدارية ، وهو أول سلسلة من الحكام  
الأقوياء العباقرة من النورمان ؛ بل إن نجاح خلفائه من بعده ، يعزى إلى  
الأسس القوية التى وصفها هو (٣) .

\* \* \*

ولما سقطت صقلية فى أيدي النورمان ، لم يبق إلا مالطة وقوصرة ،  
تحميان شواطئ أفريقية ، فأرسل كونت روجر فى عام ١٠٩١ م أسطولا  
إلى مالطة ، أجبر حكامها المسلمين على الاعتراف بسيادته ؛ وظل المسلمون

---

(١) Scott, II, PP. 64 - 75 ؛ انظر ما فصله ابن حوقل والإدريسى عن صقلية  
النورمانية .

(٢) Waern, PP. 32 - 34 ؛ Brooke, P. 225

(٣) Brooko, PP. 225 - 227 ؛ C. Med. H., IV, PP. 124 - 186; Hist,  
History, of. Cit., PP. 76-77; Waern, PP. 35 - 40, Encycl. Birtt.

في مالطة ، رغم تبعيتها السياسة إلى النورمان (١) . كذلك استولى النورمان على جزيرة قوصرة (٢) .

ولم يكتف النورمان بإزالة سلطان المسلمين عن هذه الجزائر ، بل حاولوا الاعتداء على مدينة المهديّة بشمال أفريقيا عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ؛ ورغم هزيمة النورمان أمام جيوش بني زيري في وقعة الديماس ، إلا أنهم جددوا المحاولة عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م واستولوا عليها فترة من الزمن بسبب الاضطرابات التي شملت شمال أفريقيا عقب نزول العرب الهلالية (٣) .

\* \* \*

وفيما يتعلق بجزيرة سرديانية ، كان زوال النفوذ الإسلامي الأخير فيها ، على يد حلف من بيزا وجنوة ، اللتين أغرهما الانتصار على مجاهد العامري عام ١٠١٦ م ، فتابعا السير نحو سرديانية . والواقع أن مجاهدا لقي الكثير من المصاعب في سرديانية ، لسبب تمرد رجال جيشه نتيجة لأطباعه اللانهاية ، وربما كان منشأ هذا التمرد من جانب فريق من المسيحيين الذين يعملون في جيشه وتحت رايته (٤) .

(١) لقد لقي المسلمون العنت في مالطة ، حين انتقل إليها فرسان الاستبارية بعد طردهم من رودس على يد العثمانيين عام ١٥٢٣ م ؛ وأخذ الاستبارية في مالطة يقطعون الطريق البحري على الأساطيل الإسلامية التركية أو الأفريقية ، ونقلوا آلاف الأسرى المسلمين إلى جزيرة مالطة ؛ ومن أجل ذلك حاول العثمانيون الاستيلاء على مالطة عام ١٥٦٥ م ، لكن محاولاتهم لم تنجح . ولم يتمكن من القضاء على الاستبارية في مالطة سوى نابليون بونابرت وهو في طريقه إلى مصر ١٧٩٨ م ، واتخذ من القضاء عليهم مادة للدعاية له قبل المصريين

(٢) حتى ص ٦١ - ٦٨

(٣) حتى ص ٦٧ - ٦٨ ؛ مؤنس ص ١١٣ - ١١٤

(٤) كليبيا ص ٢٠٤

وفي ذلك الوقت أخذ مجاهد يفكر في خطة للانسحاب من الجزيرة قبل وصول القوات المشتركة ، نظراً لضعف مركزه في الجزيرة ، وعلى الرغم من نصيحة قائده البحري أبي خروب بعدم الانسحاب ، أمر مجاهد بالرحيل لكنه لم يلبث أن تعرض لعاصفة بحرية هوجاء ، وحينئذ حاول الالتجاء إلى مكان أمين على سواحل سردانية ، فنصحه أبو خروب بعدم ملازمة المكان ، غير أن العاصفة قد اشتدت ووصلت سفن الأعداء إلى مياه سردانية عام ١٠١٦ م ، ووقعت الكارثة ، ولم ينج من سفنه إلا عدد قليل ، يقول شاهد عيان ، وهو أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني (ت ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م) :

كنت مع أبي الحبيش مجاهد أيام غزاته سردانية ، فدخل بالمراكب في مرسى ، نهاه عنه أبو خروب رئيس البحريين ، فلم يقبل منه ، فلما حصل في ذلك المرسى ، هبت ريح ، فجعلت تقذف مراكب المسلمين مركبا مركبا إلى الريف ، والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل للمسلمين ، فكما سقط مركب بين أيديهم ، جعل مجاهد يبكي بأعلى صوته ، لا يقدره وولا غيره على أكثر من ذلك ، لارتجاج البحر وزيادة الريح ، فيقبل علينا أبو خروب ويلشد :

بكا دويل لا أرقا الله عينه ألا إنما يبكي من الذل دويل (١)

(١) الدويل حيوان قيل هو الخنزير أو ذكره أو ولده أو وند الخمار أو الذئب العرم (القاموس المحيط)

ثم يقول (أى أبو خروب) : قد كنت حذرتك من الدخول ها هنا فلم يقبل (١) .

ويصف ابن الخطيب هذه الكارثة البحرية بقوله :

« وتداعى عليه ملوك الأرض الكبيرة ... فكانت عليه وقعة شنيعة ، وظهر ما سمع بمثله ، فقتل من أصحابه وجنوده عالم لا يحصى ، وملكوا أسطوله واستنقذوه ، واستولوا على حريمه ، وفيه نساؤه وبناته وعلى ولده وجود أمه النصرانية ، افتدى بعضهم سريعا ، وتأخر البعض كولدته على فإنه وقع في سهم صاحب الألمانين ... فاحتبس به للسياحة ، وأعيان على والده فداؤه ، وقد بذل فيه عشرة آلاف ، إلى أن خلاص بعد زمن طويل ، ولم يخلص من أسطوله أجمع إلا خمسة مراكب وأربعة قوارب ، وكان شحنة الأسطول المغلول ، من سبي سردانية ، يوم ظهور العدو عليه ، ثمانية آلاف فارس (٢) ، .

لم يفكر مجاهد في غزو سردانية بعد هذه الكارثة ، ومات عام ١٠٤٥ م .

حدث بعد ذلك صراع بين بيزا وجنوة حول السيادة على جزيرة سردانية ، فأتيحت الفرصة للمسلمين للعودة إلى الجزيرة ، فغزوها من جديد عام ١٠٥٠ م ، ولكن احتلالهم كان مؤقتا ، فقد نهض البابا ليو التاسع

(١) كليليا ص ٢٠٥ ( عن بنية المنعم )

(٢) أعمال الأعلام ص ٢١٩ - ٢٢٠

وكون حلفاء مسيحيًا لطرد العرب من الجزيرة ، بمساعدة أهلها ، وبذلك تم إجلاء المسلمين نهائيًا عن سر دانية في ذلك العام (١) .

وفي نفس العام المذكور ( ١٠٥٠ م ) تعاونت جنوة وبيزا على إزالة السيادة الإسلامية عن جزيرة قورسيقة كذلك (٢) .

أما جزر البليار ، وكان يحكمها مجاهد ، فقد ظلت خاضعة لحكمه حتى وفاته ، وكان يحكمها بالنيابة عنه ، عبد الله بن أخي مجاهد ، فضل عبد الله يتولى حكومتها خمسة عشر عامًا من ٤١٣ هـ حتى توفي سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م ، خلف عبد الله في حكومة البليار الأغلب مولى مجاهد ، وخلال حكم الأغلب مات مجاهد . وخلفه ابنه علي الملقب بأقبال الدولة ، ويقوم في دانية ، وكان الأغلب كثير الغزو في البحر ، فاستأذن عليًا في ذلك فأذن له ، وقبل أن يغاد الأغلب البليار عين صهره سليمان بن مشكيان نائبًا عنه ، فضل يحكمها خمس سنين حتى وفاته ، فولى علي مكانه مبشرًا الملقب بناصر الدولة ؛ وخلال حكم مبشر على ميورقة ، سقطت دانية في يد المقتدر بن هود صاحب سر قسطة من ملوك الطوائف (٣) ؛ وتعرض مبشر لأطباع كونت برشلونة الفرنجي الطاغية وهو رامون برنجاريو الثالث Raman Berengario III إذ تحالف هذا الكونت مع جمهورية بيزا وهاجم البليار واستولى على جزيرة يابسة ثم حاصر ميورقة لمدة عشرة شهور ، فاستنجد مبشر بعلي

(١) كليلا ص ٢٠٦ -- ٢٠٨

(٢) مؤنس ص ١١٣

(٣) راجع ما سبق

ابن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ، فلم يستطع ابن تاشفين إنجاده إلا بعد سقوط ميورقة في يد صاحب برشلونة عام ٥٠٨هـ / ١١١٤ م ، وتوفي مبشر في ذلك العام (١) .

نجح المرابطون في استخلاص الجزيرة من يد صاحب برشلونة وحكموها سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥ م ، وظلوا بها حتى سنة ٦١١هـ / ١٢١٤ م ، ثم حكمها من بعدهم الموحدون من ٦١١هـ إلى ٦٢٧هـ ( ١٢١٤ - ١٢٢٩ م ) ؛ وفي عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩ م ، فتح جاكومو الأول Giacomo di Avagone صاحب أرغونة ، هذه الجزر وطردها منها المسلمين نهائيا (٢) .

•••

أما كيف انتهى النفوذ الإسلامي في فرنسا ، فالمعروف أن قلعة فراكسيليتوم ، في جبل القلال ، كما ورد في قلة من المراجع العربية والفارسية (٣) ؛ كانت القاعدة الإسلامية الباقية في بروفانس إلى قرب نهاية القرن العاشر الميلادي ، وبواسطة هذه القاعدة تحكم المسلمون في بروفانس وفي منطقة الألب وشمالي إيطاليا وبعض بلاد سويسرا ، ولذلك أضحت فراكسيليتوم عاصمة الممتلكات الإسلامية في تلك البقاع .

حاول المسيحيون اقتلاع المسلمين من هذه المناطق ، وأخذ كفاحهم صورة الحروب الصليبية والوطنية ، وتعرض المسلمون لهذه الحرب في جميع البلاد التي يقيمون فيها بأوروبا ، وذلك في أوقات متقاربة وسريعة .

(١) صبح الأعشى > ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛ كليبيا ص ١٩٠ - ١٩١

(٢) صبح الأعشى > ٥ ص ٢٥٧ ؛ كليبيا ص ١٩١ - ١٩٢

(٣) رينو Brooke P 886

وتزعم حركة الكفاح المسيحي كوراد الثالث Corrad III ، أمير  
برجنديا وسويسرا وفرانش كوتى Franche-Conté ، والأخيرة هي التي  
كانت تعرف باسم « دوقية برجنديا » ، وهي غير مملكة برجنديا (١) ، ويقال  
إن كوراد أوقع بين المجريين الذين اجتأحوا الألزاس عام ٩٥٢ م وبين  
المسلمين في بروفانس ، ثم أهوى على الفريقين خلال المعركة ، وأفنى  
معظمهم ، ويحتمل أن هذه المعركة وقعت في سافوى (٢) .

وحوالى عام ٩٦٠ م ، تمكن المسيحيون من طرد العرب من جبل  
سان برنارد ، نسبة إلى القديس برنارد دمنثون Dementhone الذى اشترك  
في القتال (٣) . وبعد ذلك بنحو اثنتى عشرة سنة ، وقع حادث أسر القديس  
مايول Mayeul مقدم دير كلونى (٤) ، وقافلته خلال عودته من روما ،  
على أيدي المسلمين المتحكين في المنطقة الواقعة بين مدينتى جاب Gap  
وإمبرون Embrun فى أعلى نهر ديرانس ، وكان للمسلمين ثلاثة أبراج  
محصنة فى إمبرون . جاء هذا الحادث مثيراً للمسيحيين ، وكان له دوى  
عظيم فى جميع الأقطار المسيحية ، نظراً لمكانة هذا القديس (٥) ،  
فقام النبيل بيبون Bebon من قرية نويى Noyers قرب مدينة سسترون  
Sisterons - على نهر ديرانس - واستنفر قومه ضد المسلمين النازلين بنواحي

(١) رينو : Drooke, P. 335

(٢) غزوات العرب ص ١٧٥ - ١٧٦ ( مجموعة دون بوكى Don Boquet )

(٣) غزوات العرب ص ١٨٢

(٤) Drooke, P. 116

(٥) رينو : غزوات العرب ص ١٨٦ - ١٨٧

سسترون ، وبني حصنا بالقرب من حصن المسلمين القائم على جبل بترأ إمبيا Petra-Empia ، وأخذوا يرقبون حركات المسلمين للانقضاض عليهم ، وفشلت محاولات المسلمين للحيلولة دون بناء الحصن ، وأخيراً استطاع ييبون ومن معه اقتحام حصن المسلمين نتيجة خيانة حارس الباب ، وإن فعل ذلك انتقاماً لعرضه ، ونجح المسيحيون في إبادة من بالحصن ، ومن أجل هذا العمل ، سجلت الكنيسة الغربية ييبون ضمن عداد القديسين (١) .

وفي نفس الوقت ، ثار أهالي مدينة جاب ، عاصمة الألب العليا ، وكان المسلمون يحتلونهم منذ مدة طويلة ، وانقضوا على المسلمين بزعامه وليام كونت بروفانس ، وكانت هذه المدينة تتبع بروفانس (٢) . وفي منطقة الألب السفلى ، طرد العرب من مدينة ربي Biez ، وتقع شمالى نهر فردون Verdon أحد فروع ديرانس المتفرع من الرون ، ويحتفل أهل هذه المدينة في كل سنة بعيد خلاصهم من المسلمين ، وهو اليوم الذى يصادف عيد العنصرة (٣) .

أما قلعة فراكسينيتوم نفسها ، فجاءت نهايتها بعد محاولات مابحة متكررة من جانب مسيحي بروفانس ، وكان وليام كونت بروفانس صاحب

---

(١) رينو : غزوات العرب ص ١٨٦ — ١٨٨ ( مجموعة الراهب اليسوعى بالاند Baland وهى مجموعة تاريخ القديس أو مجموعة البالدنين :  
( Recueil des Ballandistes )

(٢) رينو : غزوات العرب ص ١٨٦ — ١٨٧

(٣) رينو : غزوات العرب ص ١٩٢

الفتح المعلى في أغلب هذه المحاولات . استنفر وليام أهالي كونتيته لقتال المسلمين ، فهبوا معه ، وتوجه نحو فراكسينيتوم ، وأخذوا يسدون المسالك على المسلمين ، فزل إليهم العرب ودارت معركة عنيفة في نواحي بلدة دراجنجان Dragengman ، في مكان يقال له تور تور Tourtour حيث يوجد إلى الآن برج ، أقيم منذ ذلك اليوم تخليداً للانتصار في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة المسلمين . اضطر المسلمون إلى الالتجاء إلى الغابات المجاورة ، وقتل أكثرهم وأسر الكثير ، وأخيراً سقط حصن فراكسينيتوم عام ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م (١) .

وهكذا سقطت القلعة الإسلامية العتيقة : وهي التي بقيت بيد المسلمين نحو ٨٦ سنة ( ٨٨٩ - ٩٧٥ ) ، وامتنعت على أعدائها ، بفضل موقعها ومناعتها الطبيعية ، إذ كانت تقيم فيما أسمته القلة من المراجع العربية والفارسية : « جبل القلال » .

قال الأصطخري : « وأما جبل القلال ، فإنه كان جبلا فيه مياه خرازة فوق إليه قوم من المسلمين فعمروه ، وصاروا في وجوه الإفرنجية ، لا يقدر عليهم لامتناع مواضعهم ، ومقداره في الطول يومان ، (٢) .

وقال ابن حوقل : « ولجبل القلال الذي بنواحي إفرنجية ، بأيدي المسلمين ، عمارة وحرث ومياه وأرض ، تقوت من لجأ إليهم ، فلما وقع عليه المسلمون ، عمروه وصاروا في وجوه الإفرنجية ، والوصول إليهم بمنع

(١) رينو : غزوات العرب ص ١٨٨ - ١٩١

(٢) المسالك والممالك ص ٥١ ، وفي طبعة دي غوية De Goeje ص ٧٠ - ٧١

لأنهم يسكنون وجه الجبل ، فلا طريق لإيهم ، ولا متسلق عليهم ، إلا من جهة ، هم منها آمنون ، ومقداره في الطول نحو يومين (١) .

كذلك أشار ياقوت الرومي الحموي إلى هذا الجبل بصدده حديثه عن أنكبردة (٢) - وهي دوقية بنفتم اللومباردية الواقعة جنوبي الأملاك البابوية في إيطاليا - وأيضاً في مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.

وعرف كتاب الفرس هذا الجبل وسموه «كولا فلال» أي جبل القلال ووردت بصدده ، عبارة فارسية لا تخرج في معناها عن المعنى الذي أورده الأصطخري وابن حوقل في عبارتهما . ويقول رينو ، إن الأوصاف التي وردت في هذه النصوص تنطبق على فراكسينيتوم ، وذلك في رسالة بعث بها لناشر كتاب مرصد الاطلاع (٣) .

وبزوال هذه القلعة ، زالت جميع أملاك المسلمين في جميع المناطق التي كانوا يقيمون بها ، كما زال نفوذهم في الأرض الكبيرة ، وفي منطقة الألب وفي سويسرا فيما وراء الألب .

استولى المسيحيون على الأراضي التي كانت بيد المسلمين ، ووزع كونت وليام الكنوز والمغانم التي كانت تملأ الحصن ، بين قومه .

---

(١) كتاب صورة الأرض ص ٢٠٥

(٢) معجم البلدان > ١ ص ٢٧٣

(٣) رينو : غزوات العرب ص ١٦٣ - ١٦٥

والملاحظ أن رجال الدين ظفروا بأغلب الأراضى والكنوز ، وذلك لأن رجال الدين ساهموا مساهمة فعلية في هذه الحروب ، مثل أساقفة مدينتي فريجوس ونيقة . ومن الذين أصابوا الثروة نتيجة هذه الحروب ، رجل من جنوة ، كافع مع البروفساليين ، ففتح ضياعاً واسعة عندشواطئ خليج سان تروبي الذى تطل عليه قلعة فراكسينيتوم ، كما ظفر مسيحي آخر على مدينة كاستلان Castellane الواقعة فى أعلى نهر فردون أحد فروع الرون ، وشرقى مدينة ريز Riez . وربما كانت أصول ثروة آل كاستلان المعاصرين للمستشرق رينو ( فى القرن التاسع عشر ) راجعة إلى هذه الحروب (١) . أما أراضى مدينة طولون ، فقد وقع نزاع حول اقتسامها ، لسبب ضياع معالم التملك القديمة ، اطول مقام العرب بها ، ولكن كونت وليام أرضى الجميع ، وهذا ماخلد اسمه فى التاريخ الفرنسى حتى لقب بأبى الوطن (٢) .

على أن سقوط حصن فراكسينيتوم عام ٩٧٥ م ، لم يعن قطع دابر العرب دفعة واحدة ، وإن عنى زوال أملاكهم ونفوذهم وأهميتهم فى تلك الجهات ، وإنما بقيت شرادم عربية متناثرة فى جبال الألب وهذه استسلمت أو استرقت أو أجبرت على اعتناق المسيحية وذابت فى الوطنيين . ويقال إن هذه الشرادم بقيت إلى ما بعد عام ٩٨٠ م ، بل إلى ما بعد عام ١٠٠٠ م ، ولكنها على أية حال لم تكن ذات خطر أو أهمية (٣) .

(١) رينو : غزوات العرب ص ١٩١ - ١٩٢

(٢) رينو : غزوات العرب ص ١٩٢

(٣) رينو : غزوات العرب ص ١٨٨ ، ١٩٢ ( ودلين Delbene )

ولا شك أن هناك كثيراً من البقايا المادية التي تركها العرب في إقليم بروفانس ، منها : بقايا آبار وكهوف وأحجار منحوتة وبقايا مبان ، ومن العجيب أنه لم يعثر على كتابة عربية في بقايا حصن فراكسينيتوم ، وربما كانت موجودة وذهبت مع ما تصدع منه ، كذلك وجدت بقايا الحصون العربية المتناثرة فوق قنن الجبال ، وبقايا الأبراج والمراقب والأربطة ، على طول ساحل بروفانس ، بين فرنسا وإيطاليا ، وكانت تشعل عليها أو منها النيران ليلاً للتخاطب أو طلب الإمدادات أو للإنذار بحرب ، ومن هذه الأبراج ما يرجع إلى أوائل القرن الثامن الميلادي .

ثم إن العرب في بروفانس ، هم الذين استثمروا شجر البلوط Fraxini ولا تزال توجد غابة تلنسب إليهم ، كما أنهم استخرجوا القطران ( القار ) من أشجار الصنوبر والأرز وقلفتوا به المراكب ، حتى إن أهل بروفانس يعبرون باسمه العربي دون تحريف ( Duitran ) ، على خلاف بقية أهل فرنسا الذين يسمونه Gsoudran (١) . وإن بدا في هذا اللفظ الأخير كذلك الأصل العربي .

• • •

وفي البر الطويل ، وهو إيطاليا ، تضافرت قوات الإمبراطورية البيزنطية ، والجمهوريات الإيطالية ، مثل البندقية وبيزا وجنوة ، وكذلك الإمبراطورية الغربية والبابوية ، تضافرت هذه القوات جميعها على طرد المسلمين من إيطاليا .

---

(١) رينو : غزوات العرب ص ٢٣٧ — ٢٣٩ ( ودينس Denys ) ، والأخير كتاب عن مقاطعة القار Le Var في بروفانس ، حيث توجد فراكسينيتوم )

ولذلك تم إجلاء المسلمين عن بنفتم عام ٨٤٧م بعد أن مكشوا بها نحو خمس سنوات . وعن برنديزي عام ٨٧٠ م . بعد نحو ثلاثين سنة من مقام المسلمين بها . وعن باري في العام التالي . بعد ما يقرب من ثلاثين سنة من حكمهم فيها . وعن ريو عام ٩٠٥ بعد أربع سنوات من نزولهم بها . وعن جارليانو عام ٩١٥م بعد أن امتد سلف من المسلمين بها نحو أربعين سنة (١)

وقد تدخل الإمبراطور أتو الثاني (٩٧٣ - ٩٨٣) ، نظراً لانشغال بيزنطة بالفتن عقب وفاة الإمبراطور البيزنطي حنا الشمشق J. A. T. Zimisceo عام ٩٧٦ م ، وكانت الإمبراطورية الغربية تنافس بيزنطة في إيطاليا ، ودخل أتو إيطاليا عام ٩٨٢ م وانتزع طارانت من المسلمين ، لكن المسلمين داهموه وأبادوا جيشه في نفس العام ، وكاد الإمبراطور أتو يقع في أسر المسلمين أو البيزنطيين الذين لم يرضوا عن تدخله في إيطاليا ، وأعتبروه بربرياً (٢) .

وفي شمالي إيطاليا ، كان احتلال المسلمين مؤقتاً ، بل كان أقرب إلى الغزو السريع منه إلى الفتح والاستقرار ، مثل نونفا أوستيا Nova Ostia وروما وكيفيتا فكيا Civita Vecchia وأوزيرو وجزيرة خرسو على ساحل

---

(١) راجع ماسبق وانظر : البلاذري ص ٢٧٧ ؛ ابن الأثير ص ٤ ، ص ٢٣٣ ، ص ٦  
ص ١٨٢ ؛ صبح الأعشى ص ٥ ص ٤١٠ ؛ لوبون ص ٣٠٢ ؛ أرشيبالد ص ٢١٥ ، ٢١٨ -  
٢٢١ ، ٢٧٥ ؛ كرد على ص ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ، المسلمون في حوض البحر الأبيض  
ص ١١٢ - ١١٣ ، كلييا ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ Deanesly, PP. 375, 450, 456;  
Hunt, PP. 13 - 14, Scott, 11, PP. 25 - 7; C. med. H. Vol 1v pp. 141 -  
149 - 50

(٢) Brooke, PP. 53 - 54

دالماشيا ، وأنكونا وكوتشيو وجنوة ولونى ، «الأخيرة كان مجاهد الدانى العامرى قد غزاها عام ١٠١٥ واتخذها قاعدة لفتوحه ، ولكن تغير الأحوال العامة فى أوربا ، واليقظة الشاملة فى القرن الحادى عشر ، حالت دون استقراره فيها وبرزت جهود البابا بندتو الثامن (١٠١٣ - ١٠٢٤) فى الدعوة لطرده عنها أو المساهمة الفعلية فى الحرب ، فقد أعد حملة ، تحملت خزانة البابوية نفقاتها ، كما ألف البابا بين بيزا وجنوة المتنافستين ، فاشتركتا معا فى هذا الكفاح ، ونجحت القوات المتحالفة فى طرد مجاهد عن لونى فى معركة بحرية فاصلة عام ١٠١٦ م (١) .

\* \* \*

وتعتبر أسبانيا ، آخر معقل إسلامى فى أوربا . فقد ظل المسلمون بها ما يربو على سبعة قرون . وبالنظر إلى تغير الأحوال فى أوربا منذ مطلع القرن العاشر الميلادى ، وتطور الأحوال فى الجبهة الإسلامية عامة ، وفى أسبانيا الإسلامية بصفة خاصة (٢) ، كانت الحلقة تضيق على المسلمين فى أسبانيا تدريجياً ، لسبب إلحاح الدويلات المسيحية الوطنية التى لم يقض عليها القضاء التام منذ وطئت أقدام المسلمين أسبانيا ، وجاءت فترة يقظة ، زمن حجابة المنصور بن أبى عامر لهشام الثانى الأموى خليفة قرطبة (٣٣٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٨ م) لكنها كانت قصيرة الأجل ، ويقال

---

(١) راجع ما سبق وانظر . المسلمون فى حوض البحر الأبيض س ١١٢ ، ارشيدالد  
ص ٢٣٤ ، كليلياس ١٩٩ - ٢٠٠ ، C. Med. ، ١٤ ، P. 85; Hunt, P. 14 ; Scott, H, P. 85;  
H. Vol. III, PP. 149 - 50

(٢) راجع ما سبق

إن ابن أبي عامر غزا ٥٦ غزوة في مدة ٢٧ سنة لم يهزم في واحدة منها ،  
لجأت وفاته عام ١٠٠٢ م متنفساً للمسيحين حتى علقوا على زواله وتمنوا  
له سوء الخاتمة (١) .

وبزوال خلافة قرطبة عام ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م ، وتحول قرطبة إلى  
جمهورية إسلامية زمن بني جمهور ( ٤٢١ - ٤٦٢ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٦٩ )  
تحرش المسيحيون بالمسلمين ، وكانت مملكة أستوريا Asturias المسيحية  
بشمال أسبانيا ، وهي التي عرفت باسم : مملكة ليون ، قد تزعمت حركة  
الكفاح المسيحي ضد مسلمي أسبانيا منذ القرن التاسع الميلادي ، إذ  
كانت قشتالة لاتزال كونتية صغيرة كما برزت قوة مملكة نافار Navarre  
المسيحية ولاسيما زمن ملكها سانكو جاززيا الثالث Sancho Garzia III  
( ١٠٠٠ - ١٠٣٥ م ) ، الذي ضم إليه قشتالة عن طريق الوراثة ،  
وشغلت نافار بمحاربة الفرنجة والمسلمين .

وفي منتصف القرن العاشر الميلادي وجد في أسبانيا ثلاث ممالك  
مسيحية هي : قشتالة ونافار وأراجون ، وظهرت زعامة قشتالة في النضال  
ضد المسلمين (٢) . واستطاعت قشتالة زمن ألفونسو السادس أن تنتزع  
مدينة طليطلة من المسلمين عام ٤٨٧ هـ / ١٠٨٥ م ، وكانت تحت حكم بني

---

(١) وعبارتهم : « لأنه مات وإن قبره في جهنم : Mortus est Almanzor et

Sepultus eet in inferno »

( انظر فشر ص ٣٨٨ ؛ Brooke, P. 114 )

ذى النون من ملوك الطوائف من البربر (١) ، كما استطاع ألفونسو الأول ملك أرغونة أن يستولى على مدينة سرقسطة عام ١١١٨ م ، وكان يحكمها آل منذر بن يحيى التجيبي من ملوك الطوائف من العرب .

ترتب على هذين الانتصارين ، اتساع رقعة البلاد المسيحية على حساب مسامى الأندلس ، ولو أدرك المسلمون ضعف الجبهة المسيحية ، لاستطاعوا البقاء فى أسبانيا أو على الأقل لطلال عمرهم أكثر ، فقد كان المسيحيون الأسبان يختلفون فما بينهم من ناحية اللغة والتقاليد وأساليب الحكم ، وكان اتحاد جبهتهم أمراً غير ميسور دائماً ، ولعل هذا هو السبب فى طوال الحروب بين الجانبين (٢) .

أخذت حروب المسيحيين ضد مسامى أسبانيا صفة الحرب الصليبية . وليس من باب الصدفة التوافق الزمنى بين عصر الحروب الصليبية فى الشرق وفترة ازدياد الضغط المسيحى على مسامى أسبانيا ، فإن سقوط طليطلة لا يبعد كثيراً عن مطلع الحروب الصليبية التاريخية فى الشرق ، وهى التى بدأت بمقدم مجمع كلرمونت Clermont بفرنسا عام ١٠٩٥ م ، كما أن سقوط آخر معقل صليبي فى الشرق فى يد المسلمين ، وهو عكا عام ١٢٩٠ م زمن السلطان خليل بن قلاوون ، لا يبعد كثيراً عن استيلاء مسامى أسبانيا على منطقة مرسية Murcia الإسلامية عام ١٢٦٦ م (٣) .

(١) راجع الروض العطار ص ١٣٠ - ١٣٥

(٢) Green. P. 59

(٣) فشر ص ٣٨٩ ، انظر الروض العطار ص ١٨١ - ١٨٣

وكانت أسبانيا ، بجانب العامل الوطني ومساعدة العامل الجغرافي ، تلتهم بالحماس الروحي نتيجة اليقظة الدينية العامة في أوربا ، ولاسيما وقد دخلها مسيحيون متحمسون من فرنسا وألمانيا وإيطاليا ، وخدموا في جيش ألفونسو السادس ملك قشتالة ، وكان لهؤلاء الفرسان المسيحيين أثر في سقوط طليطلة عام ١٠٨٥ م . والملاحظ أن الحركة الدينية المعروفة باسم الحركة السيسترشيانية (١) ، قد دخلت في مملكتي أرجونة وقشتالة ، كما امتدت إلى البرتغال ، وقامت أديرة هذا النظام في منطقة الحدود بين المسلمين والمسيحيين ، وعملت كطلائع في الحروب ضد المسلمين (٢) .

وانضم إلى هذه الطوائف طوائف دينية حربية أخرى ، قامت في أسبانيا المسيحية وهي الكالاترافا Calatrava والقنطرة Alcantara وأيفوفا Ovova ، وكذلك طائفة سنتياجو ( شنت يعقوب ) ، نسبة إلى يعقوب الحواري الذي بنيت على رفاته كنيسة في هذه المدينة التي عرفت باسمه ، وكان المسيحيون يحجون إليها لزيارة القبر والكنيسة (٣) ، كان لهذه الطوائف جميعها أثر كبير في إشعال الحماس الديني والحربي في المعسكر المسيحي (٤) .

.....

(١) راجع ما سبق

(٢) فشر ص ٢١٧ ، ٣٨٩ - ٣٩٠

(٣) اسم المدينة بالكامل Santiago de Compostella ، وهي الآن المدينة الرئيسية في ولاية كوروني Gorogne ( انظر الروض المطار ص ١١٥ - ١١٦ ، ١٢١ ) .

(٤) فشر ص ٣٩٠

استنجد المسلمون في أسبانيا بالمرابطين في شمالى غربى أفريقيا ،  
وكانت هذه الطائفة تشتعل حماسا دينياً وحرية ، وتقوم بحركة جهاد  
واسعة النطاق في أفريقيا (١) ولم يلبث المرابطون أن سيطروا على أسبانيا  
الإسلامية بزعامة يوسف بن تاشفين اللمتونى (٢) ، وهزموا الفونس  
السادس في وقعة الزلاقة Zallaca في ١٢ رجب ٤٧٩ هـ / ٢٣ أكتوبر  
١٠٨٦ م (٣) .

وحدث أن كان فريق من الصليبيين المتوجهين إلى الشرق ، على أثر  
سقوط إمارة الرها الصليبية في يد عماد الدين زكى عام ١١٤٤ م: أن توقف  
هذا الفريق عند شواطئ البرتغال ، وكان يتكون من مغامرين من  
الإنجيز والألمان والفريزيين Freisians والفلمنكيين Flémings فأغراهم  
البرتغاليون بأن في أسبانيا مجالا للحروب الصليبية والجهاد الدينى ،  
وليس هناك ما يدعو إلى الاتجاه إلى الشرق وتجسم مصعب الرحلة ، جاء  
هذا الإغراء من جانب ألفونسو هنريك المغامر الفرنسى من آل كابي ،  
والذى صار أميراً على البرتغال . بسبب الانتصارات التى ظفر بها على  
المرابطين في أسبانيا ، إذ انتصر عليهم في وقعة أورك Ourique عام ١١٣٩ م  
وانتزع من المسلمين مدينة شذترين Santarem في مارس عام ١١٤٧ م .

(١) انظر : إمبراطورية مالى التاريخية الإسلامية للدؤاف

(٢) راجع (ابن الأثير > ٩ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، الاستقصا > ٢ ص ٢٣ - ٢٤ ،  
روض القرطاس ص ٩٦ - ١١٢ الخ ، نفع الطيب > ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ :

Gibb, Mohammed davism, P. 122

(٣) نفس ص ٣٩٠ ، الروض المطار ص ٨٦ - ٩٥ ، Brooke, P. 221

استجاب هذا الفريق الصليبي وساعده على انتزاع لشبونة من أيدي المسلمين عام ١١٤٧ م بعد أن استمات المسلمون في الدفاع عنها ، حتى سلبت الحماية الإسلامية بشرط حقن دماؤها ، ولكن الصليبيين نكثوا ما وعدوا (١) .

وجاء الموحدون إلى أسبانيا ، بعد المرابطين ، أواخر القرن الثاني عشر وسحقوا جيشاً مسيحياً بقيادة ألفونسو الثامن في وقعة الأراك Alarcos عام ١١٩٥ / ٥٥٩١ م (٢) .

كان لهذه الانتصارات أثرها في نشاط البابا اينوسنت الثالث ، فأخذ يدعو لتوحيد جهة المسيحيين ضد مسلمي أسبانيا ، وظهرت آثار هذه الدعوة في اتحاد أرجونة وقشتالة تحت قيادة ألفونسو الثامن ، وانتصار الأسبان على المسلمين في وقعة العقاب Las Navas de Tolosa عام ١٢١٢ / ٥٦٠٩ م (٣) .

وتوالت انتصارات المسيحيين حتى سقطت بلنسية Valencia وقرطبة وإشبيلية وجيان Jasn وقادس Cadiz خلال القرن الثالث عشر (٤) بحيث لم يبق للمسلمين في القرن الرابع عشر سوى إمارة غرناطة ، وحكامها من

---

(١) الروض المطار ص ١١٣ - ١١٤ ، باركر - ترجمة الباز - ص ٩٤ ، Runciman II; PP. 258 - 259; Brooke, P. 108, 335

(٢) الروض المطار ص ١٣ - ١٣ ، فشر ص ٣٩٠

(٣) الروض المطار ص ١٣٧ - ١٣٨

(٤) راجع لهذه البلاد : الروض المطار ص ١٨ - ٢٢ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ١٤٥ - ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٨ - ١٨١ ، ١٨٣ ، الخ . . .

بني نصر ، وهذه احتفظت باستقلالها حتى نهاية القرن الخامس عشر ، وكلما اشتد الضغط المسيحي عليها ، استنجدت بالدول الإسلامية ، وكانت أقوى دولة إسلامية معاصرة لها هي دولة المماليك ، من ذلك رسالة بعثها أميرها أبو عبد الله بن محمد إلى السلطان المملوكي جتيمق في عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م ، ومضمونها التماس العون ضد « الإفرنج المجاورين ، فوعد جتيمق بمخاطبة العثمانيين ، ثم أمدهم بما استطاع من مال وسلاح لصعوبة إرسال قوة حربية (١) .

ولما طلبت إيزابلا من غرناطة دفع جزية لها ، أجابها أميرها في عام ١٤٧٦ م بأن « دار الضرب هذه لم تعد تضرب عملة ذهبية ، ولكنها تضرب الفولاذ ، ولما أستوفيت الحرب ضد غرناطة ، طلب أميرها العون من قايتباي سلطان المماليك في مصر عام ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م ، فاتخذ قايتباي إجراء دبلوماسياً حاسماً ، بأن هدد باتخاذ إجراءات عنيفة ضد المسيحيين المقيمين في دولته ، إذا لم يكف فرديناند وإيزابلا عن حرب غرناطة ، وأرغم قايتباي مسيحي القدس على الكتابة إلى ملوك الإفرنج ، وأنذر بالقبض على رجال الدين المسيحي بالقدس ، وقفل طريق الحج أمام المسيحيين ، كما أنذر بهدم كنيسة القيامة ، وقد نفذ قساوسة القدس ما أمرهم به السلطان المملوكي ، ولكن دون جدوى . فلم يلبث ملوك قشتالة وأرغونة أن استولوا

على غرناطة نهائياً في ١٨٩٧ م/١٤٩٢ هـ ، وبذلك زال آخر معقل للمسلمين  
في أوروبا (١) .

• • •

لقد كان للسيادة الإسلامية العربية في العالم الأوربي آثار بعيدة المدى  
وضحت في نظم الحكم وطرق الزراعة وأحوال المجتمع والحضارة الغربية  
عامة ، غير أن هذا الأثر لم يتأت فقط عن مقام المسلمين الطويل أو  
القصير في أرجاء أوروبا الجنوبية ، ولكن أيضاً عن العلاقات العامة  
المتنوعة ، وهي التي قامت بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ، وهذا وذلك  
له مبحث آخر .

---

(١) انظر : الجراكسة للمؤلف ص ١٤٦ - ١٤٧ ، الدكتور عبد العزيز الإهواني :  
سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة — مجلة كلية الآداب — م ١٦ > ١ مايو ١٩٥٤  
ص ٩٥ - ١١٢ ، بدائع الزهور > ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٣٧٦ ،  
Green, PP. 65 — 6

обейкиндэ .com

1. [Redacted]

2. [Redacted]

3. [Redacted]

obeykandl.com

## رسالة عبد الرحمن الأوسط

إلى الإمبراطور ثيوفلس (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم ،

« أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، تذكر فيه الذي كان عليه من مضي منكم لأولينا من المودة الصادقة ، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكانتنا ، وإرسال قرطيوس (Kartiyus) رسولك إلينا لتجدد تلك المودة ، وترتيب تلك المصادقة ، وتسال أن ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما تتمسك به ، ونتواصل له ، ونبعث رسلا من عندنا إليك ، ليعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضنت عليه ، ودعوت إليه ، لنثبت بقدمهم عليك مودتنا ، وتم به صداقتنا .

وفهمنا ما ذكرته من أمر الخليفة مروان رضى الله عنه وصلى عليه ،

---

(١) عن الحسن بن محمد بن مفرج (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) وعيسى بن أحمد الرازي (من مؤرخي القرن ١٠ م) نقله ليفي بروفنسال E. Lévi Provençal في كتابه "Islam D'occident"

ترجمة الدكتور السيد محمد عبد العزيز سالم . ص ١١٥ - ١١٨

ومن وشائج قرابتنا منه ، وأسيت لما استلب من سلطانه ، واستبيح من حرمه ، واستحل من دمه ، وما كان من الفاجر أبي جعفر تربه الله ، وجرامته على الله ، واغتراره به ، وانها كالمحارمه ، والله قد أحصى عليه ذلك ، فأسفه منه ، فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذى ذكرته من فعل الخبيثين: ابن مراحل وابن ماردة أخيه بعده ، من إلحادهما فى نجاتهما ، وإسائتهما لسيرتهما ، ورغبتها فى رعيتهما ، وشدة وطأنهما عليهما ، واستحلالهما دماهم وأموالهم ، وما ذكرت من حضور وقت زوال دولتهم ، وانقطاع مدة سلطانهم وتأذن الله برد دولتنا وسلطان آبائنا ، الذين نبأت عنهم الكتب ونطقت بهم الرسل وأوجب لهم الإجماع وحازهم إليهم البرهان والذى حضضت عليه من الخروج إليهم ، وطلب النار منهم . ووعدته من نصرتك لنا ، بما ينصر الصديق صديقه ، ومن يعلم هواه فيه ومودته له ، وما عطفت عليه من أمر أبي حفص ومن معه من جالية بلدنا ، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك وخضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم فى طاعته ، وما سألت من أهل الإنكار لذلك والانفة منه ، وحكيت من أمراء أفريقية فى نزوعهم عن ابن ماردة وخلافهم عليه ، واستثقالهم لدولته ، وكل ما حكيت من ذلك وقصصته فى كتابك ، فقد قرأناه وفهمناه .

وأما ما رغبت من مودتنا ، وأحبيته من مصادقتنا ، وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، بما كان عليه أولئك لأولينا ، فقد رغبتنا منك فى مثل الذى ذكرته من حرصك على مواصلتنا ، وأن تتمسك

من ذلك ، بما كان عليه سلفنا ، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ، ويتحاضون عليه ، ويحفظه بعض لبعض ، ويشدون أيديهم به .

وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله ، فإن الله تعالى أحب أن يكرمه ، بما انتهك من حرمة ، ونكث من بيعة ، ويسوقه إلى رحمته ، وأن يشقى بذلك من ركبته منه ، ويخزيه ويعذبه عليه .

وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر من تعذيبه العباد وظلمه وجرأته على الله ، وانتهك له محارمه فإن الله قد أخذه بذنبيه واستدركه ببيغيه ، وصيره من عذابه ونكاله إلى مالا انقطاع له ولا تخلص منه ، جزاء بما اجترح ، وكذلك حكم الله في أهل معصيته ، وأولى الاجتراء والافتراء عليه .

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة ، وحضنت عليه من الخروج إلى ما قلته وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله ، وزوال سلطانهم ، وما حضر من وقت رجوع دولتنا ، وأزف من حين ارتجاع سلطاننا ، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز مواعده إيانا ، ونعترى حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا ، من أهل شامنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا ، وما لم نزل نسمع ونعترف ، أن النعمة تنزل بهم ، والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب ، بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم ، ويستأصل شأفتهم ، إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي ، ومن صار معه من أهل بلدنا ، في خضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم في طاعته ، وما سألت من

النظر في أمورهم ، والإنكار لفعالهم ، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا سفلتهم  
وسوادهم وفسقتهم ، وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ،  
ونكفيك مؤنتهم ، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة ،  
لما منهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم تكن نحسبك تعجز  
عنهم ، ولا تصعب عن نكايتهم ، ولا تتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه  
من بلدك ، وإذ ترى مكانهم به من موضعك ، وإن الله بحوله وقوته وفضله  
ومنته رد إلينا سلطاننا بالمشرق ، وما كان تحت أيدي آبائنا منه ، نظرنا  
في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ، واستقامة اطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا  
الذي يكون من معونتك على ما دعوت إليه ، وحضضت عليه بما يعرفه  
الصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته ، ولم يضع لك عندنا ما رعبته  
من حقنا وقت فيه من حفظنا .

وقد أدخلنا رسولك قرطوبوس عاينا ، وكشفناه على الذي أوصيت به  
إلينا ، وعن كل ما يجب لصديق أن يعرفه من حال صديقه ، ووجهنا إليك  
بكتابنا هذا رسواين من صالحى من قبلنا ، فاكتب إلينا مفهما بالذى  
أنت عليه من الأمر الذى كتبت به إلينا ، والذى يجب عليك من سائر  
خيرك ، ومتعة عافيتك ، لتنظر فيما يتصرفان به من عندك على حسب  
ما يأتينا به من عندك ، إن شاء الله .

## استقبال الإمبراطور البيزنطي ثيوفلس

لسفارة عبد الرحمن الأوسط

وأخبار يحيى الغزال

٨٣٩ / ٨٤٠ م (١)

كان الشاعر الأندلسي الجياني يحيى بن الحكم الملقب بالغزال ، أحد الرسولين اللذين أوفدهما عبد الرحمن الأوسط إلى الإمبراطور ثيوفلس في بيزنطة ، وخرج الغزال مع رفيقه وسميه يحيى ، ومعهما الترجمان اليوناني من ميناء مرسية في تدمير ، وتعرض في البحر للعواصف ، حتى بلغ القسطنطينية في نهاية الأمر .

وعند وصول الوفد الإسلامي إلى العاصمة البيزنطية ، كاف الإمبراطور موظفاً خاصاً ، هو مقدم السفراء ، بتعريف رجال الوفد بآداب البلاط البيزنطي ، ثم دعى الغزال لمقابلة ثيوفلس .

اشتراط الغزال ألا يسجد له ، وألا يخرجهما الإمبراطور عن شيء

---

(١) عن ابن حيان : المقتبس ، لبي ( الترجمة ص ١٠٥ ومايليها ) أبو الخطاب ابن دحية الكلبي توفي بالقاهرة ١٢٣٥ م ، المطرب في أشعار أهل المغرب .

من سنتهما ، فأجابهما إلى ذلك ، فلما مشيا إليه قعد لهما في أحسن هيئة ، وأمر بالمدخل الذى يفضى إليه ، فضيق حتى لا يدخل إليه أحد إلا راکما ، فلما وصل إليه ، جلس إلى الأرض ، وقدم رجله وزحف على إلیته زحفة ، فلما جاز الباب ، استوى واقفا ، والملك قد أعد له ، وأحفل فى السلاح والزينة الكاملة ، فاهاله ولا ذعره ، بل قام ما ثلا بين يديه (١) .

ولم یملك ثیوفلس إخفاء ابتسامة إعجاب به قائلا لرجال دولته المحيطین به : كان الحکماء على حق فى قولهم ، إن من شخصية الرسول يعرف سیده ، إن هذا الأندلسى حکیم من حکماء القوم ، وداهية من دعاتهم .

( قصة الكأس ص ١٠٦ - ١٠٧ لینی : الترجمة ) وحدث مرة أن طلب الغزال وهو فى حضرة الإمبراطور ماء لیشرب ، فأحضر واه كأسا من الذهب المزدان بالأحجار الكريمة ، فلما شرب ، سكب الماء الذى بقى فى الكأس على الأرض وأخفى الكأس فى كم عباةته وسأل الإمبراطور فى ذلك ما لا یلیق وصرح به على لسان ترجمانه ، فكان رد الغزال :

إن أمرانا الذىن تبغون صدقتهم ، قد اعتادوا عندما یطلب أحد السفراء أن یشرب فى حضرتهم ، أن یطلبوا له كأسا ثمينة ، یمکنه الاحتفاظ بها بعد شربه منها ، فإذا كانت عادة سادتی هذه غیر متبعة لديکم ، فإنی مستعد

---

(١) عن المطرب لابن دحية السکلی :

یحیی بن حکم البکرى الجبانى الملقب بالغزال لجماله ، كان حکیم الأندلس وشاعرا وعرافها عمر ٩٤ سنة وعاصر خمسة من خلفاء بنى أمية بالأندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الأبر محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، وتوفى حوالى عام ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م

لإعادة كأسكم إليكم ، وهم السفير بإخراجها من كنه ، إلا أن ثيوفلس بادر فأشار إليه بالاحتفاظ بها ( ليني الترجمة ص ١٠٦ - ١٠٧ ) .

ولم يلبث الغزال أن ظفر بإعجاب الإمبراطورة<sup>(١)</sup> ، وحدث أن كان الغزال يوما جالسا عند الإمبراطور ، وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها ، وهي كالشمس الطالعة حسنا ، فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها ، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فأنكر ذلك عليه ، وأمر الترجمان بسؤاله ، فقال له : عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه ، فإنى لم أر قط مثلها ، وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وأنها شوقته إلى الحور العين ، فلما ذكر الترجمان ذلك للملك ، تزايدت حظوته عنده ، وسرت الملكة بقوله ، وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين إلى الختان ، وتجشم المكروه فيه ، وتغيير خلق الله ، مع خلوه من الفائدة ، فقال للترجمان : عرفها أن فيه أكبر فائدة ، وذلك أن الغصن إذا زبر قوى واشتد وغلظ ، وما دام لا يفعل به ذلك ، لا يزال رقيقا ضعيفا ، فضحكت وفتنته تعرفه<sup>(٢)</sup> .

ويقال إن الإمبراطورة زارت الغزال فى صحبة ابنتها الطفل ميشيل وذلك فى القصر الذى خصص لإقامة الوفد الأندلسى ، وسماه ابن حيان باسمه د أكاديمية من مرمر ، وأحضرت معها نبيذاً ، وطلبت منه

---

(١) زوجة الإمبراطور هى نيودورا Theodora المعبر عنها فى الروايات العربية بكلمة تود أونود تصحيفا ( ليني الترجمة ص ١٠٧ )

(٢) عن ابن حيان : المقتبس ، نفح الطيب > ١ ص ٤٤٤

أن يشرب مع ابنها ، فأجاب بأن ذلك لا يجوز في دينه (١) ، وكان قبلا  
قد اعتذر عن عدم الشرب بنفس الحجة للإمبراطور ثيوفلس (٢) ،  
وقد نظم الغزال في مناسبة هذه الزيارة قصيدة تتمثل فيها بعض الصور  
الشعرية الرائعة لهذا العصر ، يقول فيها :

وأغيد لين الأعطاف رخص      كحيل الطرف ذى عنق طويل  
ترى ماء الشباب بوجنتيه      يلوح كرونق السيف الصقيل  
من أبناء الغطارف قيصرى الـ      عمومة حين يلسب والخؤول  
كان أديمه نصفاً بنصف      من الذهب الدلاص أو الوديل  
أتى يوماً إلى بزق خمر      شمول الريح كالمسك الفتيل  
ليشربها معي ويبيت عندي      فيثبت بيننا ود الخليل  
وجاءت أمه معه فكانا      كأم الخشف (٣) والرشا الكحيل  
توصيني به وتقول أخشى      عليه البرد في الليل الطويل  
فقلت حماقة منى ونوكا      فديتك لست من أهل الشمول  
فأية غرة سبحان ربي      لو انى كنت من أهل القفول (٤)

. . .

(١) المغرب > ٢ ص ٥٧ - ٥٨

(٢) النفع > ١ ص ٤٤٤

(٣) الخشف هو ولد الطيبى

(٤) عن ليني الترجمة ص ١٠٨ - ١١٠ المغرب > ١ ص ٥٧ - ٥٨

عاد الغزال عن طريق «سانت ياجو» دي كومبوستلا أو شانت ياقب (١) وذلك لأن الغزال تلقى أمراً من عبد الرحمن الأوسط ، هو ورفيقه عندما كانا في القسطنطينية ، لكي يتوجها إلى شمال أوربا بعد عودتهما من لدن ثيوفلس ، والظاهر أنهما قاما بهذه الرحلة التي ركبا فيها الأطلنطي وعادا إلى أسبانيا بعد ذلك بعشرين شهرا ( ليني الترجمة ص ١١٢ ) .

## استقبال الناصر لسفراء الإمبراطور البيزنطي<sup>(١)</sup>

ربيع أول ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م

عن ابن حيان : « إن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادته الروم وازدلفت إليه ، تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم ، إلا وفدت عليه ، خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية ، ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فإنه هاداه ورغب في موادعته (٢) . »

وصلت سفارة الإمبراطور البيزنطي في صفر سنة ٣٣٨ هـ (٣) ، وتأهب الناصر لورودهم ، وأمر أن يتلقوا أعظم تائق وأفخمه ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقائهم ببجاية ، يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق ، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة ، خرج إلى لقائهم

(١) نفع الطيب > ١ ص ١٧١

(٢) عن نفع الطيب > ١ ص ١٧١ - ١٧٢

(٣) هناك اختلاف في تاريخ وصول سفارة بيزنطة ، فذكر ابن خلدون أنها وقعت سنة ٣٣٦ هـ ، بينما أرجع ابن عذارى تاريخها إلى عام ٣٣٨ هـ . وكذلك المقرئ ، وقد أشار ابن عذارى إلى هذه السفارة في موضعين مختلفي التاريخ ( > ٢ ص ٣١٩ ، ٣٢٢ )

القواد في العدد والعدة والتعبية ، فتلقوهم قائداً بعد قائد ، وكل اختصاصهم بعد ذلك ، بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين : ياسراً وتاماً ، إبلاغاً في الاحتفال بهم ، فلقيامهم بعد القواد ، فاستبان لهم بخروج الفتيين إليهم ، بسط الناصر وإكرامه ، لأن الفتيان حينئذ ، هم عظماء الدولة ، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه ، ويدهم القصر السلطاني ، وأنزلوا بمنية ولي العهد الحكم ، المنسوبة إلى نصير بعدوة قرطبة في الربض ، ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ، ومن ملابسة الناس طراً ، ورتب لحجابهم رجالاً تخيروا من الموالي ووجوه الحشم ، فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلاً لأربع دول ، لكل دولة أربعة منهم (١) .

« ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة ، لدخول وفود الروم عليه ، فقعدهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة المذكورة ، في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً .

« وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه : الحكم ، ثم عبد الله ، ثم عبد العزيز ثم الأصغر ثم مروان . وقعد عن يساره : المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان ، وتخلف عبد الملك ، لأنه كان عليلاً لم يطق الحضور .

« وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً . ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم .

---

(١) المقصود بذلك وفود الدول الأخرى التي وصلت في ذلك الوقت وعقد الناصر هذا المجلس لاستقبال الجميع ، غير أن أهم وفد كان في ذلك الوقت هو الوفد البيزنطي ومن أجله « قعد هذا المقعد الشهير » راجع ابن عذارى > ٢ ص ٣١٩ ، وأعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٣٧ .

« وقد بسط صحن الدار أجمع بعناق البسط وكرائم الدرانك، وظللت أبواب الدار وحناياها بظل الديباج ورفيع الستور .

« فوصل رسل ملك الروم حائرين بما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى : قسطنطين ابن ليون ، وهو في رق مصبوغ لوناً سماوياً ، مكتوباً بالذهب بالخط الإغريقي ، وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضاً ، مكتوبة بفضة بخط إغريقي أيضاً ، فيها وصف هديته التي أرسل بها وعددها ، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده . وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش على غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك ، معمولة من الزجاج الملون البديع ، وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج . وكان في ترجمته عنوان الكتاب في سطر منه : قسطنطين ورمانيين المؤمنين بالمسيح ، الملكان العظيمان ملكا الروم ، وفي سطر آخر : العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب ، عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس ، أطال الله بقاءه .

« ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال ، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ما تهبأ من توطيد الخلافة في دولته .»

• • •

تعاقب بعض الخطباء ، فلم يتميأ لهم القول ، حتى قام منذر بن سعيد (من ذاته) فأجاد .

## خطبة منذر بن سعيد البلوطي

٥٣٣٨ / ٩٤٩ م (١)

« أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعماه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وإيس بعد الحق إلا الضلال ، وإني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فأصغوا إلي معشر الملا بأسماعكم ، وأتقنوا عني بأفئدتكم . »

« إن من الحق أن يقال للمحق صدقت ، وللمبطل كذبت ، وإن الجليل تعالى في سمائه ، وتقدم بصفاته وأسمائه أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم . وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . وإني أذكركم بأيام الله عندهم . وتلافية لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعسكم وآمنت بربكم . ورفعت قوتكم . بعد أن كنتم قليلاً فكثركم . مستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم . ولاه الله رعايتكم وأسند إليه إمامتكم أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق . حتى صرتم في مثل

حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم يمين سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء ، أنشدكم بالله معاشر الملائم : ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ؟ والسبل مخوفة فأمنها ؟ والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ؟ وثغور المسلمين مهتزمة فحماها ونصرها ؟ فاذا ذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم الله ، ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقابها ؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد ؟ حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد ، واعزل النسوان وهجر الأوطان ، ورفض الدعة وهي محبوبة وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطوية صحيحة وعزيمة صريحة ، وبهيرة ثابتة نافذة ثابتة ، وريح هابة غالبية ، ونصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجد ظاهر ، وسيف منصور تحت عدل مشهور ، متحملاً للنصب ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ، ولم يبق لها غارب إلا جبهه ، ولا نجاح لأهلها قرن إلا جده ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، وبلم أمير المؤمنين اشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقبصين والأدنين مستخدمة إليه وإليك ، يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق ، لأخذ حبل يدينه وبينكم جملة وتفصيلاً ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخلف الله وعده ولهذا الأمر ما بعده ،

وتلك أسباب ظاهرة بادية تدل على أمور باطنة خافية ، وليلها قائم ، وجفنها غير نائم ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ( الآية . . . ) .

وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ؛ ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وأسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين ؛ أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالا ، وأنعمهم بالا ، وأعزهم قراراً وأمنهم داراً ؛ وأكشفهم جمعاً وأجمعهم صنفاً ، لاتهاجون ولا تذاون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ؛ فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم والزام الطاعة لخليفتم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ؛ فإن من نزع يدا من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومرق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها ، والتمسك بعروتها ؛ حفظ الأموال وحقق الدماء وصلاح الخاصة والدهماء ، وأن بقوام الطاعة تقام الحدود وتوفى العهود ، وبها وصلت الأرحام ، ووضحت الأحكام ، وبها سد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الأكتاف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به . فإنه تبارك وتعالى يقول : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ( الآية . . . ) ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم وتفريق ملامكم ، الآخذين في مخازلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين

دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين .  
أقول قولي هذا ، وأختم بالحمد لله رب العالمين ، مستغفراً الله الغفور الرحيم  
فهو خير الغافرين ، .

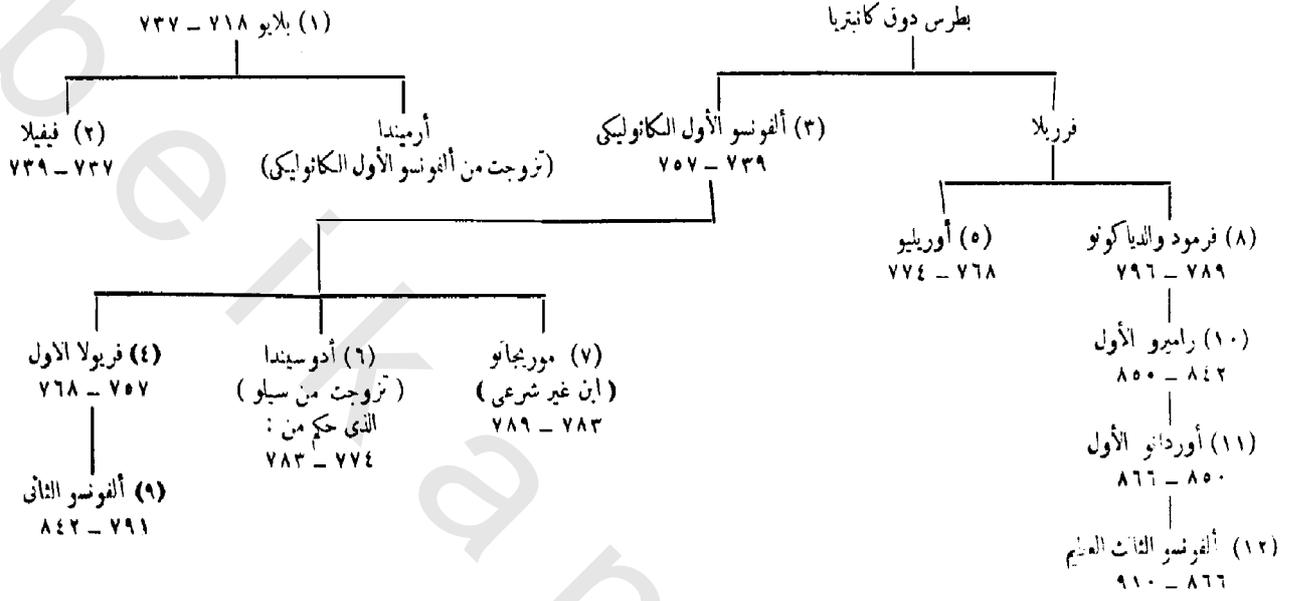
.....

[ علق ابن سعيد في المغرب (١) ، على هذه الخطبة والمناسبة التي  
قيلت فيها وأثرها على سفراء الروم وعلى كبير السفراء بصفة خاصة  
فقال : فصاب العلاج وغاب على قلبه ، وقال هذا كبير القوم ، أو كبش  
القوم ] ( النفع - ١ ص ١٧٤ )

---

(١) انظر المغرب في حال المغرب ( نشر وتحقيق الدكتور شوقي ضيف ) > ١ ص ٣٢٤

أمراء مملكة أشتوريا المسيحية  
خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين



obeykandl.com

## مصادر البحث

١- المصادر العربية . ب - المصادر الأجنبية . د - كلمة عن المراجع  
التي تناولت غزوات العرب الأخيرة في بروفانس ومنطقة الألب وماوالاها .

obeykandl.com

١ — ابن الأثير ( علي بن أحمد بن أبي الكرم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م )

الكامل في التاريخ ( مصر ١٢٧٤ هـ ) .

٢ — ابن الخطيب ( لسان الدين بن الخطيب السلماي )

كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من

ملوك الإسلام ( ألفه في الفترة بين ٧٧٤ ، ٧٧٦ هـ /

١٣٦٢ — ١٣٦٤ م ) حققه ونشره أ. ليفي بروفنسال —

بيروت ١٩٥٦ .

٣ — ابن القوطية ( أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن

عيسى بن مزاحم الأندلسي الأشبيلي الأصل القرطبي المولد .

وقد نسب إلى جدته القوطية ، وهي ابنة د وبه ، Wamba

ابن غيطشة Wetiza ملك أسبانيا القوطي ) .

تاريخ افتتاح الأندلس ( نشره وترجمه إلى الأسبانية

د. ج. ريبيرا Don Julian Ribera — مدريد ١٩٢٦ )

٤ — ابن تغرى بردى ( أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م )

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ( طبعة دار

الكتب المصرية ) .

- ٥ — ابن حزم ( أبو محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م )  
الفصل في الممل والمل والأهواء والنحل (وهما مشه الشهرستاني:  
الممل والنحل ) ( القاهرة ١٣١٧ هـ ) .
- ٦ — ابن حوقل ( أبو القاسم بن حوقل النيصبي )  
كتاب صورة الأرض .  
( نشره ج. ه. كرامرز J.H. Kramers — ليدن ١٩٣٨ )
- ٧ — ابن حيان ( أبو مروان حيان بن خلف ت ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م )  
كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس .  
( نشره الأب ملشور Melchor — باريس ١٩٣٧ ) .
- ٨ — ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م )  
تاريخه ( مصر ١٢٨٤ هـ ) .
- ٩ — ابن طباطبا ( محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي )  
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ( مصر  
١٣١٩ هـ ) .
- ١٠ — ابن عبد الحكم ( أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م )  
فتوح مصر والمغرب ( تحقيق عبد المنعم عامر — مصر  
١٩٦١ م ) .

١١ - ابن عذارى ( أبو العباس بن عذارى المراكشي )

البيان المغرب في أخبار المغرب ( بيروت ١٩٥٠ ) .

١٢ - أبو الفداء ( السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الأيوبي

صاحب حمات ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م )

تقويم البلدان ( نشره م . رينو M. Reinaud ، م . ج .

دوسلين Le Bon Mœ Guckin De Slane - ليدن

١٨٤٠ م ) .

١٣ - أحمد أمين

١ - فجر الإسلام ( القاهرة ١٩٢٨ )

٢ - ضحى الإسلام ( القاهرة ١٩٣٥ )

١٤ - ( أخبار مجموعة ) في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله

والحروب الواقعة بها بينهم . ج ١ مجرى ١٨٦٧ ) . وقد ترجم هذا

الجزء إلى الأسبانية للدون أميليو لافونت Don Emilio Lafunte

١٥ - أرسلان ( الأمير شكيب )

١ - تاريخ غزوات العرب ( مترجم ) - مصر ١٣٥٢ هـ

٢ - الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية ( فاس ١٩٣٦ م )

١٦ — أرشيالد ( Archibald L. Lewis )

القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط

( ترجمة أحمد محمد عيسى ومراجعة وتقديم محمد شفيق

غربال — مصر ١٩٦٠ ) .

١٧ — أنولده ( ناشر ) Sir Thomas Arnold ، ألفرد جيوم A. Guillaum

تراث الإسلام ( ترجمة لجنة النشر للجامعيين ) .

١٨ — الاصطخرى ( أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى

المعروف بالكرجي — توفي في النصف الأول من القرن الرابع

الهجري ) المسالك والممالك .

( تحقيق الدكتور محمد جابر الحيني ومراجعة محمد شفيق غربال

مصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ) .

١٩ — الأصفهاني ( أبو الفرج ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م )

الأغانى ( القاهرة ١٢٨٥ هـ ) .

٢٠ — البلاذرى ( أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م )

فتوح البلدان ( مصر ١٣١٩ هـ ) .

٢١ — التونسى ( السيد خير الدين )

كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ( تونس

١٢٨٤ هـ ) .

٢٢ - الحميرى ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم - جمع كتابه عام ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م ) صفة جزيرة الأندلس ( منتخبه من كتاب : الروض المعطار - فى خبر الأمصار ) تحقيق ونشر لىنى بروفنسال - مصر ١٩٣٧ م ) .

٢٣ - الدورى ( الدكتور عبد العزيز )  
العصر العباسى الأول ( دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى ) .

مشورات دار المعلمين العالية - بغداد ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٥ م

٢٤ - السخاوى ( شمس الدين محمد ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ) : التبر المسبوك ( مصر ١٨٩٦ ) .

٢٥ - السيوطى ( عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) :  
غزوات قبرص ورودس ( فيينا ١٨٨٤ - له ترجمة ألمانية )

٢٦ - الطبرى ( أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م )

تاريخ الأمم والملوك ( مصر ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م ) .

٢٧ - العبادى ( المرحوم الأستاذ عبد الحميد )

المجمل فى تاريخ الأندلس - التاريخ .

٢٨ - العربى ( الدكتور السيد الباز )

الدولة البيزنطية ( مصر ١٩٦٠ م )

٢٩ - العنيسى ( طوبيا العنيسى الحلبي )

كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية (مصر ١٩٣٢)

٣٠ - القلقشندى ( أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م )

صبح الأعشى في صناعة الإنشا (نشر دار الكتب المصرية)

٣١ - المقرئ ( أحمد بن علي التلساني ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م )

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (مصر ١٣٠٢ هـ)

٣٢ - المقرئ ( تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م )

١ - السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق ونشر الدكتور

زيادة - بدأه من عام ١٩٣٦ م ) .

٢ - المقفى ( مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٣٧٢

تاريخ ) .

٣٣ - الناصري ( أبو العباس أحمد بن خالد الناصري )

كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدار

البيضاء ١٩٥٥ م ) .

٣٤ - اليعقوبى ( أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح ت ٢٨٢ هـ /

٨٩٥ م ) .

١ - تاريخه ( ليدن ١٨٨٣ ) .

٢ - البلدان ( ليدن ١٨٩٢ ) .

٣٥ - أومان ( Oman )

الإمبراطورية البيزنطية ( ترجمة الدكتور طه بدر -  
مصر ١٩٥٣ ) .

٣٦ - باركر ( Barker )

الحروب الصليبية ( ترجمة الدكتور الباز العريبي -  
مصر ١٩٦٠ )

٣٧ - بينز ( Baynes )

الإمبراطورية البيزنطية ( ترجمة الدكتور حسين مؤنس  
وزميله - مصر ١٩٥٠ )

٣٨ - جواد على :

تاريخ العرب قبل الإسلام .

٣٩ - جورجى زيدان :

العرب قبل الإسلام ( مراجعة وتعليق مؤنس ) .

٤٠ - حتى ( فيليب )

تاريخ العرب ( ترجمة محمد مبروك نافع ) .

٤١ - ديفيز ( H. W. Davis )

شارلمان ( ترجمة الدكتور الباز العريبي - مصر ١٩٥٥ )

٤٢ - رستم (الدكتور أسد) .

الروم (في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم  
مع العرب - بيروت ١٩٥٥) .

٤٣ - زامباور (Zambaur)

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي  
( ترجمة الدكتور زكي محمد حسن والدكتور حسن محمود  
والدكتورة سيدة كاشف وآخرين ) مصر ١٩٥١ .

٤٤ - زيادة (الدكتور محمد مصطفى) :

المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس ( ترجمة  
الشيبي ومنصور - مجلة الجيش ١٩٤٦) .

٤٥ - عبد الوهاب (حسن حسني)

قوصرة (المجلة التاريخية المصرية م ٢ عدد ٢ أكتوبر ١٩٤٩)

٤٦ - فروخ (عمر)

العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض  
( من فتح المغرب والأندلس إلى آخر عصر الولاة -  
بيروت ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ) .

٤٧ - طرخان (الدكتور إبراهيم على)

١ - الحركة اللا إيقونية في الدولة البيزنطية (مصر ١٩٥٦)

٢ - دولة القوط الغربيين (مصر ١٩٥٨)

٣ - تاكتوس والشعوب الجرمانية (مصر ١٩٥٩)

٤ - نهاية الإمبراطورية الرومانية في الغرب (مجلة كلية

الآداب .. جامعة القاهرة - العدد التذكارى م ٢٠ -

مصر ١٩٦٢)

٥ - شمال أفريقيا والوندال (المجلة التاريخية - العدد

التذكارى م ١١ مصر ١٩٦٣)

٦ - مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (مصر ١٩٥٩)

٤٨ - فشر (H. Fisher)

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (ترجمة الدكتور زيادة

والدكتور العربي - مصر ١٩٥٠).

٤٩ - (كتاب مفاخر البربر) لمؤلف مجهول الاسم، ألفه عام ٧١٢ هـ

ونشره ليفي بروفنسال - الرباط ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م.

٥٠ - كرد على (محمد)

الإسلام والحضارة العربية (مصر ١٩٥٠).



٥٥ - يافوت ( شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢٦ هـ /  
١٢٢٩ م ) .

١ - معجم البلدان ( مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م ) .

٢ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع  
( وهو تلخيص لمعجم البلدان ) .

٣ - معجم الأدباء .

٥٦ - نصحي ( الدكتور إبراهيم ) .

تاريخ مصر في عصر البطالمة ( مصر ١٩٤٦ ) .

- 1 — Albert de Circourt,  
Histoire des Mores Mudejares et Des Morisques ou des Arabes D'Espagne (T, I, Paris, 1864)
- 2 — Bailly, A.,
  - 1 — Bayzance (Paris, 1939)
  - 2 — Les Grands Capétiens (1180 — 1328) (Paris, 1952)
- 3 — Barthold (in Encycl. of Islam)  
الترجمة العربية ج ٣ مادة « باشقرد »
- 4 — Baynes, N. H., & Moss, H. St. L. B., (Edit.)  
Byzantium (Oxf., 1948)
- 5 — Boissannades, P.,  
Du Nouveau sur Le Chanson de Roland (Paris, 1933)
- 6 — Bradley, H.,  
The Goths, from the Earliest Times to the End of the Gothic Dominion in Spain (London, 1887)
- 7 — Brooke, Z. N.  
A History of Europe (911 — 1198) (Lond., 1928)
- 8 — Bryce, J. V.,  
The Holy Roman Empire (Lond., 1950)
- 9 — Bury, J.,
  - 1 — History of the Later Roman Empire
  - 2 — History of Greece. (Lond., 1931)
- 10— Calmette, J.,  
Les Derniers Etapes du Moyen Age Français
- 11— (Camb. Med. H.), Vols. III — IV — V.
- 12— Cartelliere, O.,  
The Count of Burgundy (Studies in Hist. of Civilization)  
Lond., 1929

- 13— Cary, M.,  
A History of Rome Down to the Reign of Constantine  
(Lond., 1954)
- 14— Ch - André, J.,  
La Berbérie
- 15— Chew, H. M., & Latham, L. C.,  
Europe in the Middle Ages (814 - 1494) (Lond., 1936)
- 16— Courcelle, O.,  
Histoire Litteraire des Grandes Invasions Germaniques  
(Paris, 1948)
- 17— Davis, R. H. C.,  
A History of Mediaeval Europe (Lond., 1958)
- 18— Deanesly M.,  
A History of Early Mediaeval Europe (476 — 911)  
Lond., 1956
- 19— De Marlès, M.,  
Histoire de la Domination Des Arabes et Des Maures En  
Espagne et En Portugal (Paris, 1825)
- 20— Diehl, C. & Marçais, G.,  
Le Monde Orientale De 395 a 1081 (H. G. I. III)  
Paris, 1944
- 21 — Dill, S.,  
Roman Society in the Last Century of the Western  
Empire (Lond., 1926).
- 22— Dozy, R.,  
Histoire Des Musulmans D'Espagne (Leiden, 1932)
- 23— Dutailis, P.,  
The Feudal Monarchy in France & England (Lond., 1949)
- 24— (Encyclopedia Britannica )
- 25— (Encyc. of Islam)

- 26— (Encycl. of Religion & Ethics)
- 27— Evans, J.,  
Life in Mediaeval France (Oxf., 1925)
- 28— Eyre, E., (Rdit).  
European Civilization, Its Origins & Development  
(Oxf., 1935)
- 29— Fichtenau, H.  
The Carolingian Empire (Oxf., 1951).
- 30— Finlay, G.,  
History of the Byzantine Empire (Edinb., 1856)
- 31— Foord, E.  
The Byzantine Empire (Lond., 1911)
- 32— Freeman, E. A.,  
Western Europe in the Eighth Century & Onward,  
(Lond., 1904)
- 33— Funk - Brentano, Fr.,  
The National History of France (The Earliest Times,  
Lond., 1927)
- 34— Gibb, Sir H. A. R., Mohammedanism (New York, 1955)
- 35— Gibbon, E.,  
Decline & Fall of the Roman Empire (Lond., 1893)
- 36— Goubert, P.,  
Byzance avant L'Islam (Paris, 1951)
- 37— Green, V. H.,  
Renaissance & Reformation (A Survey of European  
History between 1450 — 1660)
- 38— Greegoire, H.,  
The Byzantine Church ( In Byzantium, Ed. By Baynes  
& Moss)

- 39— Gregory of Tours,  
The History of the Franks  
(Translated by O. M. Dalton, 2 Vols., Lond., 1927)
- 40— Grousset, R.,  
L'Empire Du Levant (Paris, 1949)
- 41— Gsell, S.,  
Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.
- 42— Hall, H. R.,  
The Ancient History of the Near East
- 43— Hallam, H.,  
View of the State of Europe During the Middle Ages  
(Lond., 1914).
- 44— Halphen, L.,  
1 — Charlemagne et L'Empire Carolingien (Paris, 1947)  
2 — Les Barbares (Paris, 1948)
- 45— Hodgkin, T.,  
Italy & Her Invaders (Oxf., 1892)
- 46— Hogben, S. J.,  
The Muhammadan Emirates of Nigeria (Lond., 1930)
- 47— Hubert, H.,  
The Greatness & Decline of Celts (Lond., 1934)
- 48— Hunt, W.,  
History of Italy (Lond., 1878)
- 49— Ives, G. B.,  
History of the Byzantine Empire (New York, 1954)

- 50— Lane - Poole, S.  
1— The Moors in Spain ( Lond., 1887 )  
2— A History of Egypt in the Middle Age (Lond., 1925)
- 51— Lavesse, E. & Rambaud, A., (Edit),  
Histoire Générale Du VI Siècle a Nos Jours (T. Première  
• Les Origines • 395 - 1095 ) (Paris, 1922)
- 52— Leclercq, D. H.,  
L'Espagne Chrétienne (Paris, 1906)
- 53— Lévi - Provençal, E.,  
1— L'Espagne Musulmane au Xeme Siecle (Paris. 1932)  
2— Histoire De l'Espagne Musulmane (Paris 1950 - 1953)
- 54 — Levtchenko, M. V.,  
Byzance Des Origines a 1453 (Paris 1949)
- 55— Lindsay, J.,  
Byzantium into Europe (Lond., 1952)
- 56— Lot, F.,  
Les Invasions Germaniques (Paris, 1935)
- 57— Martin, E. J.,  
A History of the Iconoclastic Controversy (London)
- 58— Massen G.,  
Mediaeval France (London)
- 59— Milman. H. H.,  
History of the Latin Christianity (Lond., 1872)
- 60— Moss, H. St., L. B.,  
the Birth of the Middle Ages (Of.. 1943)

- 61— Mot t. G F. & Dee, H. M.  
Middle Ages (New york, 1952).
- 62— Nöldke, T.,  
The Scope & Influence of History ( In Historians'  
History of the World, Vol. VIII). - (New York, 1926)
- 63— Oman, Ch.,  
The Dark Ages (476 - 918) - (Lond., 1949)
- 64— Orton, P.,  
Outline of Mediaeval History (Cambr. 1942)
- 65— Ostrogorsky, G.,  
History of the Byzantine State  
(Translated by J. Hussey, (Oxf., 1956)
- 66— Painter, S.,  
A History of the Middle Ages (New York, 1954)
- 67— Pirenne, H.,  
1— A History of Europe (Lond., 1948)  
2— Mohammad & Charlemagne (Lond., 1954)
- 68— Poupardin.  
La Royaume de Bougogne (888 - 1038) (Paris. 1907)
- 69 - Reid. J. S.,  
The Municipalities of the Roman Empire ( Cambr.. 1918)
- 70— Risler, J. C.,  
La Civilisation Arabe (Paris., 1955)
- 71— Rossi., E., Malta (Encycl. of Islam, Vol. III)

- 72— Rostovtseff, M.,  
The Social & Economic History of the Roman Empire  
Vol. I (Lond), 1957)
- 73— Runciman, S.,  
1— Byzantine Civilization (Lond., 1948)  
.. 2— History of the Crusades (Cambr. 1954)
- 74— Salmon, E. T.,  
A History of the Roman Empire (Lond., 1950)
- 75— Scott, S. P.,  
History of the Moorish Empire in Europe (Lond., 1904)
- 76— Seignobos, C.,  
L'Europe Feudale (A. G. T. II) (Paris 1925)
- 77— Sergeant, L.,  
The Franko (Lond., 1898)
- 78— Sismondi, J. C. L.,  
History of the Italian Republics in the Middle Ages  
(Translated by W. Boultong)
- 79— Soame, J.,  
The Coast of the Barbary
- 80— Stephenson, C.,  
Mediaeval History (Washington, 1943)
- 81— Stevens, C. E.,  
Sidonius Appollinarius & His Age (Oxf., 1933)
- 82— Syme, R.,  
The Northern Frontiers under Augustus (C. Med. H., Vol. I)

- 83— Thomson, J. O.,  
History of the Ancient Geography (Cambr., 1948)
- 84— Vassiliev, P.  
History of the Byzantine Empire (Madison, 1952)
- 85— Villari, P.,  
The Barbarian Invasions of Italy (Translated by L. Villari)  
Vol. I Lond., 1902)
- 86— Waern, C.,  
Mediaeval Sicily (Lond., 1910)
- 87— Wahl, (In. H. G. T. I)
- 88— Watts, A. E.,  
Spain (Lond., 1803)

من الملاحظ خلو المراجع العربية المتداولة كلها تقريبا ، من الإشارة إلى غزوات العرب الأخيرة في بروفانس ومنطقة الألب وما والاها ، سوى ما ذكره الأصبخري وابن حوقل وياقوت ، ولذلك فإن أهم ما يرجع إليه حتى الآن ، فيما أعلم ، هو المراجع الأجنبية ، ولاسيما ما كتبه الفرنسيون والإيطاليون والألمان . ومن العجيب حقا ، أن كتاب العرب في أسبانيا الإسلامية ، لم يتناولوا النشاط الإسلامى فى تلك المناطق ، مع العلم بأن أسبانيا الإسلامية ، زمن خلفاء قرطبة ، كانت الحامية الرسمية للمسلمين فى بروفانس . ولعل هناك من المراجع العربية التى لم تصل إلينا ، أوقدت خلال حركة الاسترداد المسيحى ، وهى الحركة التى اشتعل أوارها فى أسبانيا الإسلامية .

ولقد بذل المرحوم المحقق شكيب أرسلان . جهداً مشكوراً ، حين تعرض لهذا الموضوع ، وبذل أقصى ما يستطيع العالم المحقق الوطنى أن يبذل فى سبيل الوصول إلى الحقيقة ، إذ قام بما لم يقم به إلا القلائل ، يوم سافر وشهد ما استطاع أن يشهده من الآثار العربية الإسلامية فى الأرض الأوربية ، وسأل وناقش واستقصى ، فأدى بذلك خدمة علمية باقية للتاريخ العربى الإسلامى فى العصور الوسطى .

ترجم شكيب أرسلان بحثين كبيرين هامين ظهرا فى هذا الموضوع فى القرن التاسع عشر .

الأول : المستشرق الفرنسي المحقق رينو ( ١٧٩٥ - ١٨٦٧ م ) وهو من مواليد عصر الثورة الفرنسية ، والعصر البونابرتي ، ومات قتيلا في الحرب السبعينية التي أذلت فيها فرنسا ، كما عاصر حفر قناة السويس وحرب القرم وحركة البعث الإيطالي ، وعظمة الاتحاد الألماني زمن بسمارك ، عاش رينو في عصر الحوادث الكبرى في التاريخ العالمي .

وقد نشر كتابه عام ١٨٣٦ م وعنوانه بالكامل :

M. Reinaud, Invasions Des Sarrazins En Farnce et de France en Savoie, en Pieront et dans La Suisse — Pendant les huitième, neuvième et dixième siècles de notre ère, D'Après Les Auteurs Chrétiens et Musulmans .

وتقع ترجمة هذا الكتاب فيما أصدره شكيب أرسلان تحت عنوان : « تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، من ص ١٦ - ٢٤٣ . وعلق على الترجمة ، وكان أميناً في الترجمة والتعليق .

وذكر رينو في كتابه أن اثنين من الكتاب سبقاه في التعرض لهذا الموضوع ، هما :

1 -- M. B.... N. C, F.?, Précis Historiques des guerres des Sarrazins dans les Gaules ( Paris. 1810 )

2 — Desmichels M., L'Histoire Générale du Moyen Age, T. II ( Paris, 1831 )

وما يدل على أمانة رينو العلمية ، أنه اعترف بمبالغات الرهبان

المؤرخين المعاصرين لتلك الحوادث ، فهو يقول إنه ينقل ما سجلوه على  
علاته ، وإن لم يرثه هذا من التعصب الذي وضع في بعض صفحات كتابه .

الثاني - للمستشرق الألماني فردناند كلر ، نشره في زيور في  
عام ١٨٥٦ م . وعنوانه :

Dr. Ferdinand Keller, Der Einfall der Sarazenen in Die  
Schweiz um die Mitte des x yahremderts.

ومعناه : « غارة العرب على سويسرا في أواسط القرن العاشر » .  
وتقع ترجمة هذا الكتاب في كتاب شكيب أرسلان من ص ٢٤٤ - ٢٧٥ .

وقد نقل كلر ، كما فعل سابقه رينو ، عن الرهبان المؤرخين المعاصرين  
وقرأ ما كتبه رينو ، وناقش بعض آرائه .

وكان شكيب أرسلان قد ترجم هذا الكتاب ونشره ملخصاً في مجلة  
المنار بمصر عام ١٩١٩ م ، ثم أعاد نقله بكامله في كتابه ، ولم يختصر منه  
إلا ما رآه غير هام ، كما فعل في ترجمة كتاب رينو .

وورد في كتاب رينو وكر ، عدد كبير من المراجع المعاصرة وغيرها  
من التي تعرضت لنشاط المسلمين في تلك البقاع ، وأنقل هنا بعضاً منها :

فمن كتبوا عن تاريخ بروفانس ، وفصلوا في أحداث الغزو الإسلامي ،

في الكتب التي أصدرها : Papon & Bouche

- وعن برجنديا : Von Gingins

- وعن نيم : Menard : Nimes

— وعن De Guyse : Hainut

— وعن منطقة الألب العليا : La doucette

— وعن لانجدوك : Don Vaissette

— وعن مقاطعة الفار : Denys : Le Var

— كذلك أشارت ، إلى هذه الغزوات ، مجموعة مؤرخي فرنسا :

Reeneil des Historiens de France

— وكتاب غاله المسيحية Gallia Christiana

ومن المؤرخين الإيطاليين ، فيما أصدره من كتب وبحوث :

Bonino - Debene - Dellachiesa - Durandi - Monbrizio - Sigeberto.

وفي مجموعة التاريخ الجرمانى : Monumenta Germanica Historica

وما كتبه هوبى Hûbi فى القاموس التاريخى لسويسرا :

Dictionnaire Historique et Biographique de la Suisse .

وفى كتاب تاريخ دير سانت جالى ، الذى أصدره الراهب المؤر-

إكهارت Eckehard

وكتاب مقاطعة سانت جالن لمؤلفه : Von Arx

وما كتبه المؤرخ الألمانى Luitprand المتوفى عام ٩٧٠ م ، ونق-

العالم الأثرى الإيطالى لودفيكو أنطونيو مورانورى Muratori المتو-

عام ١٧٥٠ م ؛ وذلك فى المجموعة التى نسبت إليه .

وكذلك ما كتبه المؤرخ الألمانى شبرينجر Sprecher

ومن كتب التراجم :

Gerhardi. Vita S. Qudalrici

ومجموعة حياة القديسين المنسوبة لمصنفها الراهب اليسوعي بالاند  
Baland ، وقد مات دون أن يكملها ، وأكملها غيره ، وعنوانها :

Recueil Des Balandistes

ومجموعة الراهب البندكتي المؤرخ مارتن المشهور باسم « دون بوكي »  
Don Boquet . وهو من مواليد مدينة أميان Amiens بفرنسا ، وتوفي  
عام ١٧٥٤ م . وهكذا . . . . .